مجلة

المنار

المجلد الثاني والعشرون

الجزء الثاني

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد و الطريف
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

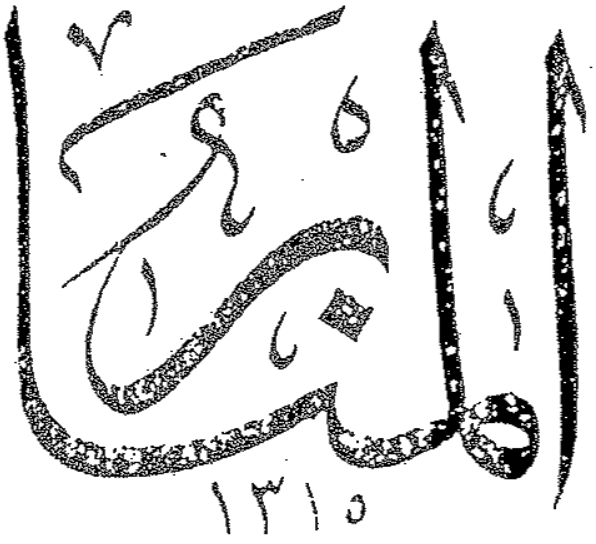

نشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

نشر المكنة من يشاء ومن يؤت المكنة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام عروى « ومنارا » كمنار الطريق

مصر صلخ ربيع الآخر ١٣٣٩ ـ ١٩ الجدي (ش١) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٩ يناير ١٩٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاريخ فنون الحديث

٢

افراد الحديث بالتأليف من مبتدأ القرن الثالث

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جمعه طريقة غير التي كانوا يجمعونه ممزوجاً باقوال الصحابة وفتاوي التابعين أخذوا يفردونه بالجمع والتأليف ثم من أئمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روي عن الرسول (ص) من غير تمييز بين صحيح وسقيم . ومنهم من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان أول الراسمين لتلك الطريقة المثلى شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري فجمع في كتابه المشهور ماتبين له صحته, وكانت الكتب قبله ممزوجاً فيها الصحيح بالعليل بحيث لا يتبين للناظر فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن أحوال رواته والوقوف على سلامته من العلل فان لم يكن من أهل البحث ولم يظفر بمن يتعرف منه درجته بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . واقتفى أثر البخاري في ذلك الامام مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الآخذين عنه ثم ارتسم خطتهما كثيرون

وان ذلك القرن الثالث لاجل عصور الحديث وأسعدها بخدمة السنة ففيه ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحذاق الناقدين وفيه أشرقت شموس الكتب الستة التي كادت لا تفلت من صحيح الحديث الا اليسير والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يستفيد الناظرون وعن محياها تنجاب الشبه وبضوءها يهتدي الضال وببرد يقينها تثلج الصدور

وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه، ويبتدئ عصر ترتيبه وتهذيبه ، وتسهيله على رواده وتقريبه

وقبل أن نأتي على المشهور من كتب السنة في هذا القرن نمهد فصلا نكشف فيه عن طرق التصنيف في الحديث حتى نكون على بينة من تأليفه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طرق التصنيف في الحديث

للعلماء في تصنيف الحديث وجمعه طريقتان (احداهما) التصنيف على الابواب وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيره وتنويعه أنواعاً وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز مايتعلق بالصلاة مثلا عما يتعلق بالصيام وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على ايراد ماصح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كابي داود والترمذي والنسائي (ثانيتهما) التصنيف على المسانيد وهو انه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ويجعله على حدة وان اختلفت أنواعه ، وأهل هذه الطريقة منهم من رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي في المختارة التي لم تكمل وهذا أسهل تناولا ، ومنهم من رتبها على القبائل فقدم بني هاشم ثم الاقرب فالاقرب الى رسول الله «ص» في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الاسلام فقدم العشرة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصاغر الصحابة سنا وختم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه =

= طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة أقسام وهي الاوامر والنواهي والاخبار والاباحات وأفعال النبي (ص) ونوع كل واحد من هذه الخمسة الى أنواع ، والكشف في كتابه عسر جداً ، وقد رتبه بعض المتأخرين على الابواب وعمل له الحافظ أبو الفضل العراقي أطرافاً (٢) وجرد الحافظ أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولهم في جمع الحديث طرق اخرى (منها) جمعه على حروف المعجم فيجعل مثلا حديث «انما الاعمال بالنيات» في حرف الالف وقد جرى على ذلك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وابن طاهر في أحاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الاطراف وذلك بان يذكر طرف الحديث ثم يجمع أسانيده اما مع عدم التقيد بكتب مخصوصة أو مع التقيد بها ، وذلك مثل ما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت العراقي في أطراف الكتب الخمسة

---

(١) الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمنا به ومات على ذلك (٢) سيأتي معنى الاطراف قريبا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه معللا بان يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فان معرفة العلل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ما عد متصلا أو وقف ما ظن مرفوعاً وغير ذلك من الامور المهمة . والذين صنفوا في العلل منهم من رتب كتابه على الابواب كابن أبي حاتم وهو أحسن لسهولة تناوله، ومنهم من رتب كتابه على المسانيد كالحافظ الكبير يعقوب ابن شيبة البصري (١) فانه الف مسنداً معللا غير أنه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالي وعمار، ويقال ان مسند علي منه في خمس مجلدات ويقال انه كان في منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريباً) قال بعض المشايخ انه لم يتم مسند معلل قط

هذا وقد جرت عادة أهل الحديث أن يفردوا بالجمع والتأليف بعض الابواب والشيوخ والتراجم والطرق

أما الابواب فقد أفرد بعض الأئمة بعضها بالتصنيف كباب رفع اليدين في الصلاة أفرده البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد أفرده الدارقطني بالتصنيف وأما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على انفراده فجمع الاسماعيلي حديث الاعمش وجمع النسائي حديث الفضيل بن عياض . وأما التراجم فقد جمعوا ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابن عمر وكسهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وأما الطرق فقد جمعوا بعض طرق الاحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب علي متعمداً » جمع طرقه الطبراني وغير ذلك

(١) توفي سنة ٢٦٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتب السنة في القرن الثالث

اشهر الكتب في القرن الثالث صحيح البخاري(١) وصحيح مسلم(٢) وسنن أبي داود(٣) وسنن النسائي(٤) وجامع الترمذي(٥) وسنن ابن ماجه (٦) ومسند الامام أحمد بن حنبل (٧) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود(٨) ثم مصنف ابن ابي شيبة (٩) وكتاب محمد بن نصر المروزي «١٠» ومصنف سعيد بن منصور «١١» وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري «١٢» وهو من عجائب كتبه ابتدأ فيه بما رواه أبو بكر الصديق وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججه واللغة فتم مسند العشرة وأهل البيت والموالي وقطعة من مسند ابن عباس، والمسند الكبير لبقي بن مخلد القرطبي «١٣» رتبه على أسماء الصحابة روى فيه عن الف وثلثمائة صحابي ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على ابواب الفقه فجاء كتابا حافلا مع ثقه مؤلفه وضبطه واتقانه ومسند عبيد الله بن موسى «١٤» ومسند اسحاق بن راهويه «١٥» ومسند عبد بن حميد «١٦» ومسند الدارمي «١٧» ومسند أبي يعلى الموصلي «١٨» ومسند ابن ابي أسامة الحارث بن محمد التميمي «١٩» ومسند ابن ابي عاصم احمد بن عمرو الشيباني «٢٠» وفيه نحو خمسين الف حديث ومسند ابن ابي عمر ومحمد بن يحيى العدني (٢١) ومسند ابي هريرة لابراهيم بن حرب العسكري «٢٢» ومسند الامام علي لاحمد بن شعيب النسائي «٢٣» ومسند المنبري ابراهيم بن اسماعيل اللوسي «٢٤» والمسند الكبير للبخاري ومسند مسدد بن مسرهد «٢٥» ومسند محمد بن مهدي «٢٦» ومسند الحميدي «٢٧» ومسند ابراهيم بن معقل النسفي «٢٨» ومسند ابراهيم بن يوسف الهنجابي «٢٩» ومسند مالك لاحمد بن شعيب

(١) توفي سنة ٢٥١ (٢) سنة ٢٦١ (٣) سنة ٢٧٥ (٤) سنة ٣٠٣ (٥) سنة ٢٧٩ «٦» سنة ٢٧٣ «٧» سنة ٢٤١ «٨» سنة ٣٠٧ «٩» سنة ٢٣٥ «١٠» سنة ٢٩٤ «١١» سنة ٢٢٧ «١٢» سنة ٣١٠ «١٣» سنة ٢٧٦ «١٤» سنة ٢١٣ «١٥» سنة ٢٣٧ «١٦» سنة ٢٤٩ «١٧» سنة ٢٥٥ «١٨» سنة ٣٠٧ «١٩» سنة ٢٨٢ «٢٠» سنة ٢٨٧ «٢١» سنة ٢٤٣ «٢٢» سنة ٢٨٢ «٢٣» سنة ٣٠٣ «٢٤» سنة ٢٨٠ «٢٥» سنة ٢٨٩ «٢٦» سنة ٢٧٢ «٢٧» سنة ٢٨٩ «٢٨» سنة ٢٩٥ «٢٩» سنة ٣٠١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النسائي «١» والمسند الكبير للحسن بن سفيان «٢» والمسند المعلل لابي بكر البزار «٣» ومسند ابن سنجر «٤» والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة «٥» ولم يؤلف أحسن منه - لكنه لم يتم - ومسند علي بن المديني «٦» ومسند ابن ابي عزرة احمد بن حازم «٧» ومسند عثمان بن ابي شيبة «٨» وكتب المسانيد كثيرة جدا وفيما ذكرنا كفاية وان أردت زيادة فانظر كشف الظنون تجد فيه بعض الحاجة

«تنبيه» كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة اذ جرت عادة مصنفيها أن يجمعوا في مسند كل صحابي مايقع لهم من حديثه صحيحاً كان أو سقيما ولذلك لايسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقاً واستثنى بعض المحدثين منها مسند الامام احمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته هو رأس سنة ثلثمائة وقد أبنا فيما سلف أن القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتمحيصها ونقد رواتها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الاقليلا - يجمع ما جمعوا ويعتمد في نقده على مانقدوا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تمتاز في الاكثر بأولية الجمع فيها دون الاخذ عن غيرها وهذا مادعاني الى أن أفرد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن ادمجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المعاجم الثلاثة الكبير والصغير والاوسط للامام سليمان ابن أحمد الطبراني (٩) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين الف حديث ورتب في الاوسط والاصغر شيوخه على الحروف أيضاً ولقد رتب الكبير الامام علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (١٠) ترتيباً حسناً وسنن الدارقطني (١١) وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان

(١) توفي سنة ٣٠٣ (٢) سنة ٣٠٣ (٣) سنة ٢٩٢ (٤) سنة ٢٥٨ (٥) سنة ٢٦٢ (٦) ٢٣٤
(٧) سنة ٢٧٦ (٨) سنة ٢٣٩ «٩» سنة ٣٦٠ «١٠» سنة ٧٢١ «١١» سنة ٣٨٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البيهقي (١) وصحيح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق(٢) وصحيح ابن خزيمة محمد ابن اسحاق(٣) وصحيح المنتقي لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٤) والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الاندلس (٥) ومصنف الطحاوي(٦) ومسند ابن جميع محمد بن أحمد (٧) ومسند محمد بن اسحاق(٨) ومسند الخوارزمي«٩» ومسند ابي اسحق ابراهيم بن نصر الرازي «١٠»

وسنعقد لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع فصلا يعرف به ويبين درجة أحاديثه وما لقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسند الامام أحمد رضي الله عنه

مسند الامام احمد بن حنبل

مسند الامام أحمد كتاب جليل من جملة أصول السنة يشتمل على أربعين الف حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن أحاديثه ماينوف عن ثلثمائة حديث ثلاثية الاسناد (أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه ـ روى أبو موسى المديني عن الامام احمد أنه سئل عن حديث فقال انظروه فان كان في المسند والا فليس بحجة. كأن الامام يرى صحة كل ماساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في أن كل مافيه حجة انما هي صريحة في أن ماليس فيه ليس بحجة لكن ثم أحاديث مخرجة في الصحيحين وليست فيه . والحق أن الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثا من المسند لاحت له فيها سمة الوضع وذكر الحافظ العراقي تسعة . لكن أجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر في كتابه (القول المسدد في الذب عن المسند) وقال في كتابه تعجيل المنفعة برجال الاربعة ليس في المسند حديث لاأصل له الا ثلاثة أحاديث او أربعة منها حديث عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً قال ويعتذر عنه لانه مما أمر بالضرب عليه فترك سهواً أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . ويعجبني ماقاله العلامة

(١) توفي سنة ٣٥٤ (٢) سنة ٣١٦ (٣) سنة ٣١١ (٤) سنة ٣٥٣ (٥) سنة ٣٤٠ «٦» سنة ٣٢١ «٧» سنة ٤٠٢ «٨» سنة ٣١٣ «٩» سنة ٤٢٥ «١٠» سنة ٣٨٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) شرط أحمد في المسند أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم وان كان في ذلك ما هو ضعيف، قال ثم زاد ابن احمد زيادات على المسند ضمت اليه وكذلك زاد أبو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات كثير من الاحاديث الموضوعة فمن لا علم عنده أن ذلك من رواية احمد في مسنده

شرحه واختصاره — شرح المسند أبو الحسن بن عبد الهادي السندي(١) نزيل المدينة المنورة واختصره زين الدين عمر بن احمد الشماع الحلبي وسمي مختصره در المنتقد من مسند الامام أحمد وكذلك اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي (٢)

الجامع الصحيح المسند للامام البخاري

وصف اجمالي له — هو أول كتاب الف في الصحيح المجرد وقد اتفق جمهور العلماء على انه اصح الكتب بعد القرآن الكريم ويقاربه في ذلك صحيح مسلم وذلك انهما لا يخرجان من الحديث الا ما اتفق على ثقة ناقليه الى الصحابي المشهور مع كون الاسناد اليه متصلا غير مقطوع (وذلك ما يسمى بشرط الشيخين)

ولقد جمع البخاري صحيحه في ست عشرة سنة وما كان يضع فيه حديثاً الا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه . وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الاحاديث بالمكرر ٧٣٩٧ سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات (*) وبغير المكرر من المتون الموصولة ٢٦٠٢ ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضع آخر منه ١٥٩ حديثاً فمجموع غير المكرر ٢٧٦١ وفيه من المعلقات ١٣٤١ حديثاً وفيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثا ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقطوعات الواردة عن التابعين فمن بعدهم جملة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع ٩٠٨٢ حديثاً . وانما جمع في صحيحه الاحاديث المعلقة والموقوفة والمقطوعة وليست

(١) توفي سنة ١١٣٩ (٢) توفي سنة ٨٠٥

(*) المعلق من الحديث ما كان في سنده سقط من أوله كأن يقول البخاري عن ابن عمر (رض) عن النبي (ص) كذا والموقوف ما انتهى سنده الى الصحابي فلم يذكر فيه قولا للنبي ولا فعلا ولا وصفا ولا تقريرا — والمقطوع ما انتهى سنده الى من دون الصحابي كالتابعي وقد يطلق على المقطوع موقوف على فلان اي النبي انتهى اليه السند

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من موضوع كتابه لأنه قصد بها الاستئناس والاستشهاد فحسب. ولذلك نراه في سياقها لتمتاز

وقد انتقد عليه الحفاظ عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو ٣٢ حديثاً ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ٧٨ حديثاً قال الحافظ ابن حجر في مقدمة شرحه (فتح الباري على صحيح البخاري): وليست عللها كلها قادحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف، وقد أوضح ذلك الحافظ مفصلا في المقدمة. وقد ضعف الحافظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو بهم أعرف ولهم أخبر. وقد روى عن البخاري جامعه الصحيح نحو من مائة ألف منهم كثير من أئمة الحديث كمسلم وأبي زرعه والترمذي وابن خزيمة

شروحه — لم يعتن علماء المسلمين بشيء بعد الكتاب العزيز عنايتهم بالجامع الصحيح للامام البخاري فما أكثر شارحيه والكاتبين في رجاله والمؤلفين في أغراضه والمختصرين لكتابه وقد عد الفاضل ملا كاتب جلبي في كتابه كشف الظنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحا للبخاري دبجها يراع الجهابذة من السلف والاذكياء من الخلف ما بين كامل وناقص، بيد أن منهم من مال الى الاجمال كالامام الخطابي (١) فانه عمل شرحا سماه (أعلام السنن) في مجلد واحد ومنهم من آثر التطويل فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بسنده أو متنه الا كتب عليه كالامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي «٢» فانه شرحه شرحا وافيا سماه «منح الباري بالسيل الفسيح الجاري» كمل ربع العبادات منه في عشر مجلدا اتى فيه بما لم يسبق اليه. ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصرا على ما لا بد منه في فهم الاحاديث مع تقييد أوابده وتذليل شوارده

وهؤلاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا بعد الكثرة «أن المحسنين من الشراح احصانا أربعة نفر

١ الامام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي «٣» في (شرحه التنقيح)

والعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي «٤» في شرحه (عمدة القاري)

«١» توفي سنة ٣٠٨ «٢» سنة ٨١٧ «٣» سنة ٧٩٤ «٤» سنة ٨٥٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوشيح)

وشيخ الاسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «٢» في شرحه (فتح الباري) ولعمري أنه لامير أولئك المحسنين فان شرحه لا يدانيه شرح ولا يحيط بجماله وصف، ولو لم يكن له الا مقدمته لكانت كافية في الاشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد اليمن العلامة الشوكاني أن يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال : لا هجرة بعد الفتح . وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعد ان أكمل مقدمته في سنة ٨١٣ وانتهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقد أولم عند ختمه وليمة عظيمة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين الا اليسير اتفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنيها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الحظوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الاطراف بالاستكتاب واشتري بنحو ثلثمائة دينار « مائة وخمسين جنيها مصريا » وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا ومقدمته في مجلد ضخم « وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين »

مختصرات الجامع — له مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر الامام جمال الدين أحمد بن عمر الانصاري القرطبي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي « ٤ » المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي (٥) جرد فيه حديثه من أسانيده وسماه (التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرحا وافيا حسن صديق خان ملك بهوبال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبدالله الشرقاوي

كتب رجاله — منها (أسماء رجال البخاري) للشيخ الامام أحمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابي الوليد سليمان بن خلف الباجي «٧» و(الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) «*» لجلال الدين بن عمر البلقيني «٨»

«١» سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ ٣ توفي سنة ٦٥٦ ٤ سنة ٧٨٩ ٥ سنة ٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨ «٧» سنة ٤٧٤ «*» ابهام الراوي أن لا يذكر اسمه ولا يقبل حديث المبهم ولو الابهم بلفظ التعديل على الاصح (٨) سنة ٨٢٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجامع الصحيح للامام الحافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهود لهما بعلو الرتبة وقد ذكر النووي في أول شرحه له ان الحسين بن علي النيسابوري قال: ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ووافقه على ذلك بعض شيوخ المغرب، ولكن الذي لاينبغي الاضرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لان الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري أتم منها في كتاب مسلم أما من حيث الاتصال فلاشتراط البخاري ان يكون الراوي ثبت له لقاء المروي عنه ولو مرة واكتفى مسلم بإطلاق المعاصرة وما ألزم به مسلم البخاري من انه يحتاج الى ان لايقبل العنعنة (١) أصلا ليس بلازم لان الراوي اذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لايجري في روايته احتمال ان لايكون سمع منه لانه يلزم من جريانه ان يكون مدلسا والمسألة مفروضة في غير المدلس. وأما من حيث العدالة والضبط فلان من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون، مع ان الثاني لم يكثر من اخراج حديثهم وأغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وأما من جهة عدم الشذوذ والاعلال (٢) فلان ما انتقد على البخاري من الاحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثا وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة أضف الى هذا مافي البخاري من الاستنباطات الفقهية والدقائق الحكمية مما عري منه كتاب مسلم، هذا الى اتفاق العلماء على ان البخاري كان أجل من مسلم في العلوم وأعرف بصناعة الحديث منه وان مسلما تلميذه وخريجه ولم يزل يستفيد منه ويتتبع آثاره حتى قال الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء. لكن الانصاف يدفعنا الى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والطريقة الحكيمة ونعني بها سهولة التناول من كتابه اذ جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة مما يسهل على الطالب النظر في وجوهه واقتطاف ثماره وتوليه الثقة بجميع الطرق التي للحديث

١ العنعنة أن يكون في السند لفظه عن كعن فلان عن فلان ٢ الشذوذ مخالفة الثقة من هو أرجح منه والاعلال وجود علة خفية قادحة في السند او الحديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يحم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة وقد روى عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر ٧٢٧٥ حديثاً

شروحه - شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف الظنون نحو خمسة عشر شرحاً من اشهرها المنهاج للحافظ الامام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي «١» وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته، واكمال المعلم للامام أبي عبدالله محمد بن خليفة الابي المالكي «٣» في أربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات، والابتهاج للشيخ أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية أجزاء كبار، وشرح الشيخ علي القاري الهروي نزيل مكة المكرمة «٥» في أربع مجلدات

مختصراته - من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لاحمد بن عمر القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المنذري «٧» ومختصر زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي «٨» وهو كبير في اربع مجلدات ولابي بكر أحمد بن علي الاصبهاني «٩» كتاب في أسماء رجال مسلم

تصحيح غلط في الجزء الاول

سقط من السطر ١٩ ص ٧ من الجزء الاول جملة والصواب هكذا (فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) على ان الاقتباس لايشترط فيه ايراد الآيات بتمامها ولا الترتيب بينها. وفي تلك الفاتحة آيات متصلة من مواضع مختلفة، وفيه عطف على محذوف يدرك بالقرينة ووضع لبعض علامات الوقف في غير موضعها سهوا

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣ «٥» سنة ١٠١٦ «٦» سنة ٦٥٨ «٧» سنة ٦٥٦ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٣٧٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عادة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك بمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاقتداء في الصلاة بمتخذي الوسطاء والشفعاء عند الله ﴾

(وما يتبع ذلك في حقيقة الاسلام والارتداد عنه)

(س٢) جاءنا هذا السؤال من جماعة الموحدين في (دمياط) ومعه عنوان واحد منهم لنجيبه فرأينا أنه يجب نشره والجواب عنه في المنار وهو :

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب ادارة المنار العامرة

تحية اخلاص نهديها اليكم روح الاسلام وبعد فلما كانت ثقتنا لا تنحصر بغير عالميتكم السامة اطلاعها بنور الاله الواحد الهادي الى الصراط المستقيم سيما في معضلات الامور التي يتوقف صلاح الدين عليها . رجوناكم للسؤال الآتي وهو (هل تصح الصلاة خلف متخذي الشفعاء والوسائط من مسلمي هذا الزمان أم لا تصح)

وفي الختام نابح جميعا بتكرار الرجاء وتردده باسم الدين الاسلامي الحنيف ان لا يغض الاستاذ الامام على طائفة تقلب وجهها في السماء لهفا بالجواب على هذا السؤال وافياء هذا وان تمكن الاستاذ الامام نشر الجواب في المجلة الطائر ذكرها بين أقطار المشارق والمغارب فيها وواجدا والا فرجوه جميعا أن لا يحرم من الرد بالعنوان عليه ولكم من الله تعالى الشكر والاجر ان شاء الله والسلام الموحدون بدمياط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ج) الظاهر أن السائلين يعنون بمتخذي الشفعاء والوسطاء عند الله من يصدق عليهم قوله تعالى في مشركي العرب (ويعبدون من دون مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانهم مرتابون في الاقتداء بهم في الصلاة مع هذا الشرك الصريح لانهم يأتونه عن جهل ويحسبون أنه طاعة لله وعمل بدينه وهم مؤمنون اجمالا بالله وبأن كل ما جاء به عنه خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق. وايمانهم بذلك ايمان اذعان لانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون بيت الله من استطاع منهم اليه سبيلا. فموضع الاشكال على هذا ما يصدر عنهم من العبادة الشركية لغير الله تعالى كدعاء الموتى من الصالحين والتمسح بقبورهم والطواف بها وبعض النبات والجماد لشفاء الامراض وتفريج الكروب وتوسيع الرزق وغير ذلك من الاعمال والاعتقادات المنافية للتوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ان لا يعبد الله وان يخلص له الدين وحده فلا يدعى معه احد — هل هي من أعمال الشرك المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة فلا يعذر الجاهل بها كما يقول المتكلمون والفقهاء أم هي مما يخفى على غير العلماء الاعلام العارفين بحقيقة ما كان عليه الصدر الاول من قواعد الاسلام، فيعد الجاهل بها والمتأول فيها معذورا واسلامه وما يترتب عليه من الاعمال صحيحا؟ ثم اذا كان أس الدين مما يعذر جاهله وهو توحيد العبادة واخلاصها لله تعالى بالتوجه اليه فيها وحده ولا سيما الدعاء الذي هو مخها ولبابها فأي قاعدة من قواعده أو ركن من أركانه المبنية على هذا الاس لا يعذر الجاهل بها أو المتأول لها؟ واين اجماع الامة على أن التوحيد الخالص شرط لصحة الصلاة والصيام وسائر العبادات لا يعتد بشيء منها بدونه مع سائر أصول الايمان القطعية المعلومة من الدين بالضرورة؟

انا نعلم بالاختبار الدقيق ان كثيرا ممن يدعون غير الله تعالى يجهلون كثيرا من هذه الاصول الاعتقادية والعملية وأن منهم من التاركين لاركان الاسلام كلها أو بعضها والمرتكبين لكبائر الاثم والفواحش المصرين عليها بدون مبالاة بأمر ولا نهي، ولا انتفاع بذكرى ولا زجر، ومنهم من اعتاد بعض الاعمال الدينية المشروعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمبتدعة اعتيادا ولكنه لا يعرف الخشوع والخوف والرجاء الا عند تلك القبور وذكر أصحابها. أو نحوها مما يعظمون تعظيم عبادة وتدين وان لم يسموه كله أو بعضه عبادة ومن هؤلاء. وأولئك الذين يدعون هؤلاء الموتى خاشعين معتقدين أنهم يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يخطر في بالهم غير ذلك، ومنهم من يسمى دعاءه توسلا واستشفاعا ولا سيما اذا أنكر عليه. وهذا عين ما حكاه القرآن عن مشركي العرب ولم يعتد بايمانهم حتى يتركوه وقال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هؤلاء الذين يعدون هذا تأولا المذعنون للامر والنهي الملتزمون للفرائض المتأثمون من المعاصي وفيهم وقع الاشكال فيما يظهر لان تكفير المؤمن المتأول المعين فيه خطر عظيم ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك أكثر أهله علم الدين على الوجه الذي كان معروفا عند سلف الامة أهل الحق .

وانا نمهد للجواب التفصيلي الشافي تمهيدا نراه ضروريا فنقول

(١) ان قواعد العقائد وأصول الايمان واحكام الاسلام والردة المجمع عليها والمسائل الاعتقادية والفرعية المختلف فيها كلها مقررة في الكتب وان كل مسلم مكلف أن يعرف الفرائض العينية منها وان يبذل جهده فيما في تطبيق الوقائع والنوازل التي تعرض له على ما عرف ، ومن ذلك الجهد سؤال العارفين واستفتاء المفتين فيما يشكل عليه من ذلك الى أن يهتدي الى الحكم المنطبق على الواقعة — فهذا اجتهاد عملي يطالب به العوام كالعلماء كالاجتهاد في القبلة في حالة البعد عن الكعبة المشرفة وعدم المحاريب المتواترة. وان لاحوال الزمان والمكان تأثيرا عظيما في هذا الاجتهاد العملي من مظاهره انك ترى الناس يستنكرون البدع عند ظهورها أشد الاستنكار وربما بالغوا في ذلك فجعلوا المباح محظورا كالبدع في العادات والملاهون والازياء وكم كتب بعض المشتغلين بالعلم رسائل وكتبا في تحريم بعض هذه المستحدثات في أول العهد بظهورها كالاحذية الشائعة التي تسمى في مصر بالجزم (جمع جزمه) وفي الشام بالكنادر والاساتيك ومنها ما يسميه الفرنجان (البوتين) واذا شاعت المنكرات الدينية وعمت تصير عند الجمهور كالمباحات بل يجعلون بعضها في عداد المستحسنات والشعائر الدينية ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر البلاد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي يقطعها المسلمون بل صار كثير من المحظورات المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة من المباحات في حكم القانون المتبع كالربا والزنا وشرب الخمر. فمن يعيش في أمثال هذه البلاد لا يكون نظره في تطبيق الاعمال على القواعد والاحكام الشرعية كمن يعيش في بلاد نجد التي لا يكاد يرى فيها شيئاً من أمثال هذه المنكرات فشيا مألوفا ولا يسمع فيها بحكم من حاكم غير مستند الى نص من كتب الفقه المعتبرة، لذلك ينقل عن بعض عوامهم تكفير مرتكب بعض المعاصي ولو غير قطعية وفي مصر لا يكفر التارك لجميع أركان الاسلام والمستبيح لاكبر الفواحش بالاصرار على المجاهرة بها بلا مبالاة

(٢) قد اختلف مصنفو الكتب الكلامية والفقهية اختلافا واسع النطاق في مسائل الكفر والردة من حيث الادلة ومن حيث تطبيقها على الاعمال والناس وناهيك بشديد من ناط واهذه المسائل باللوازم القريبة والبعيدة للاحكام القطعية أو الظنية القوية كمن كفروا من حقر عالما أو قال أو فعل ما ينافي احترام كتاب شرعي أو فتوى شرعية بالالقاء على الارض أو القول ببطلان الفتوى أو عدم قبولها اذ عدوا ان اهانة الفقيه أو فتواه أو الكتاب تستلزم إهانة الشرع وان عدم الاذعان والاحترام للفتوى يستلزم رفض الشرع والدين، وقد يعدون من الاهانة وعدم الاحترام ما ليس منه في الواقع أو في عرف الفاعل وقصده. ويوجد في هذه الكتب ولا سيما تصانيف المتأخرين منهم من الاقوال ما لا يمكن اثباته شرعا وفي بعضها تأييد للبدع المحللة بأصول الدين وفروعه

(٣) قد وقع من جراء ما ذكر ما ذكره ونشكو منه في هذه البلاد من الفوضى في العلوم الدينية وفي تطبيقها على الاعمال المجرئة لاحد المتدينين الى طريق المتصوفة الفارقين في البدع على كتابة رد على فتوى لشيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بالباطل حاول فيه جعل البدعة التي انكرها الشيخ بالدليل دينا متبعا وعبادة مشروعة واستدل على ذلك بأحاديث لا تدل عليه ولا هي بصحيحة فيستدل بها على فرض دلالتها على ما ذكر — ونشر رده الباطل في صحيفة يومية مشهورة قرأها ألوف من الناس وسكت علماء الازهر على ذلك الى ان انكره على المتصوفي بعض أهل الغيرة من الاسكندرية كما عزى ذلك من جزء المنار الماضي ذلك بأن شيخ الازهر — وان كان رئيس علماء الدين في الازهر وسائر معاهد التعليم الديني في هذا القطر — ليس له رياسة دينية مطاعة عند المسلمين فيما يأمر به أو ينهى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنه أو يفي به وان وافق الحق لا شرعاً ولا قانوناً ولا مواضعة عرفية وليس من أعمال مشيخة الازهر نشر الدين بتلقين عقائده وآدابه وأحكامه لعامة المسلمين المكلفين بطريقة منتظمة فيكون من أثر ذلك أن السواد الاعظم قد تلقى دينه عن مصدر واحد موثوق به بحيث نجزم بأن كل ما كان معلوما من الدين بالضرورة في صدر الاسلام وسائر القرون التي جزم فيها علماء الاصول والفروع بأن من جحد شيئا مجمعا عليه من هذه المعلومات يكون كافرا . بل نعلم بالاختبار أن السواد الاعظم من المسلمين في هذه البلاد أميون وأن المتعلمين في غير المعاهد الدينية من الاهالي أكثر من المتعلمين فيها، فأما الاميون فاكثرهم لم يتلق عقيدته من عالم ولا متعلم بل يسمع بعضهم من بعض أقوالا وأمثالا وحكايات بعضها من عقائد الايمان وبعضها من أضاليل أهل الكفر وخرافات أهل الشرك ، وأما المتعلمون في المدارس الدنيوية فكثير منهم تعلموا في مدارس دعاة النصرانية التي انشئت لتحويلهم عن دينهم ، ومنهم من تعلم في مدارس الحكومة وغيرها أو في أوربة . وجميع المدارس الدنيوية يبث فيها من التعاليم ما ينافي الدين أو يوقع الريب في بعض عقائده ولا يكاد يوجد فيها مدرسة يتقن المسلم فيها أصول دينه على الوجه الحق المؤيد بالدلائل التي تدحض الشبهات الواردة عليه من العلوم الاخرى . وأما المتعلمون في الازهر وما يتبعه من المعاهد فاكثرهم يجيء من بلاد الارياف ومزارعها متشبعا بما عليه العوام من الخرافات والاوهام فتمر عليه السنين وهو يعالج مبادئ النحو والفقه التي لا تنزع من نفسه شيئا من الخرافات والبدع التي عرفها وألفها بحضور دروس العقائد المعروفة في هذه المعاهد وهي مختصرات أو مخلصات من كتب جدلية جافة فيما يجب اعتقاده في الايمان بالله ورسله واليوم الآخر تحرك الشبهات ولا تكاد تزيد مدارسها إيمانا ولا عملا صالحا ولا تمييزا للبدع من السنن ولا ترغيبا في طلب رضوان الله وترهيبا من عقابه ، وقد يوجد في بعضها مدح لاتباع السنة وسيرة السلف وذم لما ابتدع بعدهم كقول الجوهرة

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ولكن لم يذكروا في شروحهم وحواشيهم عليها خلاصة ما حوت دواوين السنة من أحاديث الاعتصام وآثار الصحابة فيه ولا ما ورد عن السلف من اجتناب البدع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والزجر عنها ، بل لاتخلو أمثال هذه الشروح والحواشي مما يخالف السنة ويؤيد البدعة وأهلها عن قرب أو بعد كاحتجاج الراد على فتوى شيخ الازهر في هذه الايام بما في بعضها من قولهم ان «اه» من اسماء الله تعالى كما يوجد ذلك في بعض كتب الفقه والفتاوي أيضا ، ومنه قول بعضهم باستحباب وضع الستور على قبور الصالحين قياسا على ستر الكعبة والقائل بهذا ليس من أهل القياس الاصولي الاجتهادي الا أن يكون القياس الشيطاني الذي يهدم نصوص الكتاب والسنة ، ويبني بانقاضها صروح البدعة ، فقد صحت الاحاديث بحظر تشريف القبور وبناء المساجد عليها ووضع السرج والمصابيح عليها ولعن الذين اذا مات الرجل الصالح فيهم اتخذوا على قبره مسجداً. ومقتضى هذا القياس أن هذا مشروع محبوب عند الله ورسوله (ص) وتقتضي هذه الفتوى أيضا أن الطواف بتلك القبور وتقبيلها مشروع ، وكل ذلك من عبادة غير الله تعالى وهل كان الشرك الذي بعث جميع الرسل لهدمه الا عبادة غير الله تعالى من الملائكة والانبياء والصالحين بدعائهم والغلو في تعظيمهم بما لم يأذن به الله وتعظيم ما وضع للتذكير بهم من صور وتماثيل وقبور ؟

(٤) لقد كان مثار كل هذه الفوضى والضلالات ماتبع التقليد والتمذهب من جعل جماهير الناس كل ما دوّن في كتب دينا يقبح ولاسيما بعد موت مؤلفه وعند أهل مذهبه أو أهل طريقته اذا كان منتميا الى بعض طرق المتصوفة . التقليد نفسه مختلف فيه عند الاصوليين وأهل النظر والاستدلال والتشديد في منعه في الامور الاعتقادية عظيم جدا حتى قال من قال انه لا يعتد بايمان المقلد وان وافق الحق وقد ذكر ذلك صاحب الجوهرة في أول عقيدته بقوله

اذ كل من قلد في التوحيد ... ايمانه لم يخل من ترديد
ففيه بعض القوم يحكي الخلفا ... وبعضهم حقق فيه الكشفا
فقال أن يجزم بقول الغير ... كفى والا لم يزل في الضير

وناهيك بحال المختلف في ايمانه والعياذ بالله تعالى. والتقليد الذي اجازه من اجازه منهم وأوجبه صاحب الجوهرة هذا قصرا اياه على الائمة الاربعة المشهورين في الفقه وابي القاسم الجنيد من الصوفية — افتياتا منه على الشرع — وهو التقليد في فروع الاعمال وانما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانوا يعنون به تقليد العاجز عن معرفة الحكم للمجتهد الموثوق به عنده بأخذه عنه الحكم بدون دليله وليس منه في شيء أن يجعل من الدين كل ما ذكر في كتاب ولو لجاهل ليس من أهل الاجتهاد المطلق ولا مادونه كأكثر هؤلاء المتأخرين الذين لم يعنوا قط بالنظر في أدلة الاحكام وانما ثاليفهم عبارة عن نقل كل مؤلف منهم لكلام من قبله مع تصرف يفسد النقل في بعض الاحيان ، واكثر نقل المتأخرين عن قريبي العهد بهم ولا يكاد احد منهم ينظر في كلام المجتهدين ولا كلام أهل التخريج والاجتهاد في مذاهبهم، بل جعلوا الفقهاء طبقات أوصلها بعضهم الى ست ويقول مثل ابن عابدين الشهير انه من السادسة واملها اسرى النقل يعني عن قبلهم لا من الكتاب والسنة، ولا من نصوص الأئمة، وهذه الطبقات حجب دون الكتاب والسنة كل طبقة تحجب مادونها عما فوقها، فالحجب بين الطبقة السادسة وبين النور المنزل من عند الله ليستضيء به البشر خمسة هي مادستها. وقد ضرب الامام الغزالي مثلا جميلا ضوء الشمس يدخل من نافذة فيقع على مرآة وينعكس عنها على جدار مقابل لها ثم ينعكس عنه الى جدار ثان مقابل له ثم ينعكس عنه الى جدار ثالث في حجرة أخرى مظلمة من بابها ثم ينعكس ما يقع على هذا الجدار المقابل للباب الى جدار رابع في حجرته مقابل له — فالنور الذي يقع على المرآة مثل لنصوص الكتاب والسنة عند المهتدين بهما من الائمة المجتهدين وغيرهم من السلف لان الله تعالى شرع دينه وجعل كتابه تبيانا عاما لا خاصا بالأئمة وانما الائمة أقوى فهما وأوسع علما وأهدى سبيلا في الاهتداء به وتعليمه للناس. والنور المنعكس عن المرآة على الجدار الاول مثل العلم الذي يتلقاه الناس عن الائمة الذين [illegible] وينشرونه [illegible] وما يستنبط منه [illegible] ما ينعكس عن هذا النور على الجدار الثاني وما فيه من بعض ولا تتبين بها الاشياء بجلاء تعرف به حقيقتها وصفتها كما يعرف بل كثير مما تخفى وما يقع فيها الاشتباه

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما)

(٥) يشتبه على أكثر المتعلمين [illegible] ومن أخذ بعضهم بقول الامام بدون معرفة دليله وبين ما خصه بالاسم من التقليد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاعمى الذي ترتب عليه ما أشرنا اليه من الفوضى الدينية وقد قلب بعض المقلدين الوضع وعكس القضية فجعلوا أقوى حججهم على وجوب التقليد وكونه مصلحة راجحة زعمهم أنه يدفع مفسدة الفوضى في الدين بادعاء الكثيرين للاجتهاد واتباع الناس لهم وهم غير أهل لذلك فيكونون ضالين مضلين فاقفال باب الاجتهاد قد درأ هذه المفسدة وقيد من ليس أهلا للاجتهاد باتباع أئمة معدودين قد ثبت اجتهادهم ونقلت مذاهبهم بالتواتر

والحق ان هذه المفسدة التي ذكروها واقعة لا ريب فيها وانما كان سببها ماسموه اقفال باب الاجتهاد أي اقفال باب الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ورد كل اختلاف ونزاع اليهما كما أمر الله تعالى. وهذا الاهتداء ليس معناه ان يكون كل مهتد بهما إماما أهلا لاستنباط أي حكم شرعي احتيج اليه منهما، فعوام السلف الصالح لم يكونوا أئمة ولا كان الجماعات ولا الافراد منهم يلتزمون تقليد فرد معين من علمائهم، وانما كانوا كلهم عالمين بالضروري من الدين ومتفاوتين في علم غيره ومن احتاج منهم الى علم ما لا يعلمه في نازلة وقعت له سأل عنها من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم أي سأله عن حكم الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (ص) وكان أولئك العلماء الذين هم أهل العلم بالقرآن والسنن يفتونهم بالنصوص ان وجدت والا فبما يستنبطون منها

وأما عوام الخلف الذين حيل بينهم وبين هداية كتاب ربهم وما بينه من سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام بتسميتها اجتهادا يعجز عنه البشر فهم في فوضى دينية من هذا التقليد الاعمى الذي هو عبارة عن الاخذ بقول كل من ينتمي الى العلم أو يدعيه والى العمل بكل قول يوجد في كتاب مخطوط أو مطبوع ولا سيما كتب المنسوبين الى مذاهبهم في الفقه أو الكلام أو التصوف وناهيك بكتب المشهورين منهم مهما يكن سبب شهرتهم، ومن اختبر المسلمين في الاقطار المختلفة اختبارا صحيحا يجد انه يقل في طلاب العلوم الدينية فيهم من يعرف سيرة الامام الذي ينتمي اليه في علمه ودينه وأصول مذهبه ونصوصه في الفروع، وانما حظهم من المذهب قراءة بعض الكتب التي ألفها بعض المقلدين المنتمين اليه على تفاوت عظيم في فهمها وعلى ما في الكثير منها من الخلط والخطأ والغلط كما أشرنا اليه آنفا، وليتهم مع هذا يعرفون ما في الكتب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعتمدة في مذاهبهم ويعملون بما صح نقله عن المجتهدين أو من على مقربة منهم ! كلا ان أكثر العوام يقلد بعضهم بعضا في الدين وآدابه وعباداته فعلا وتركا كما علمت، ولا يوجد واحد في المئة ولا في الالف منهم تلقى دينه عن أحد من المنتحلين للعلم الديني على ماوصفنا من سوء حالهم ومن جهل أكثرهم بنصوص الائمة المجتهدين - كجهلهم بالكتاب والسنة، ولو كانوا متهمين لاولئك الائمة الكرام لجعلوا أكبر همهم تذكير الناس وتعليمهم بالكتاب والسنة وارجاع كل أمر اليهما وبذلك وحده ترتفع الفوضى الدينية أو تقل وتموت البدع أو تضعف. وأقوال المؤلفين المنسوبين الى المذاهب ليس لها من السلطان على القلوب والاقناع في العقول مثل ما لكلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وكلامهم متعارض لكثرتهم فاذا حاججت امرءا بقول مؤلف منهم حاجك بقول آخر يخالفه كما يحاج بعض المنسوبين الى الطريقة الشاذلية شيخ الجامع الازهر بقول كاذبة خاطئة وجدها في بعض كتبهم فيما ابتدعوه من التعبد بما يسمونه اسم الصدر، وهو اخراجهم من صدورهم صوتا مشتملا على الحرفين اللذين مخرجهما اقصى الحلق (أه)

بل أقول ان اشتغال باب الاهتداء بالكتاب والسنة وتذكير الناس بهما قد فتح أبواب الزندقة والخروج من الدين لا باب الفوضى في الدين أو الفسوق فقط، وأوسع هذه الابواب اثنان الشهوات المادية واتباع بعض الدجالين المنتمين الى التصوف المدعين أنهم عرفوا الحقيقة أو اتبعوا من عرفها بالكشف، وناهيك بطائفة البكتاشية والملتالبابية والبهائية من أهل هذا الزمان كسلفهم الباطنية من الاسماعيلية وغيرهم . كل هذه الدواهي الطامة جاءت من ابتداع تلقي الدين عمن ينسب الى المذاهب المعروفة والاخذ بما يقوله أو يكتبه كل منهم أو يوجد في كتبهم من غير ان يكون تلقينا للكتاب والسنة وتفسيرا لما يحتاج الى التفسير منهما وجعل هذا التلقين هو الاصل وماقد يحتاج اليه من فتوى اجتهادية في نازلة جزئية فرعا لا يدعى اليه ولا يجعل سنة متبعة وشريعة ثابتة ولا يجعل من خالفه الى غيره مبتدعا ولا فاسقا، ولو فعلوا هذا واستمروا عليه بما قاله أهل العلم بالتفسير والحديث لما قطعت الصلة بين الامة وبين النور الذي أنزله الله اليها ولأقفل بذلك باب الفوضى التي هي الاخذ بكلام كل من بعد من المعممين والمؤلفين مهما تكن أقوالهم ومصادرها ، وليس هذا هو الاجتهاد المطلق الذي أقفلوا بابه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٧) ان هذا الدين — وان كان أصله كتاب الله تعالى وما بينه به رسوله في أفعاله وأقواله وأحكامه — يتوقف فهم المكلف اياه على معرفة سيرة السلف الصالح من جمهور الصحابة والتابعين وحفظة السنة وعلماء الامصار في القرون الثلاثة التي هي خير قرون. ذلك بأن نصوص القرآن والاحاديث تحتمل المعاني المختلفة بضروب المجازات والكنايات فيعرض لكثير فيها من التأويل مالبس مرادا للشارع، وانما كان الصحابة أعلم الناس بهذا الدين لانهم أعلم بلغة القرآن والحديث التي هي سليقة لهم، وشاهدتهم أعمال الرسول (ص) ووقوفهم على أحكامه في بيانه. ولذلك قال علي كرم الله وجهه لابن عباس (رض) حين أرسله لمحاجة الخوارج: احملهم على السنة فان للقرآن ذوو وجوه. والمراد من السنة معناها اللغوي أي سيرة الرسول (ص) وطريقته المتبعة من عهده فانها عمل لا يحتمل التأويل كما يحتمله كلامه وكلام الله تعالى وسائر الكلام وقد نهى بعض الخوارج بعضا عن محاجة ابن عباس بالقرآن بحجة أنه من قريش الذين قال الله تعالى فيهم (بل هم قوم خصمون) يريدون أنه لا يغلب في المحاجة والمخاصمة لانه ألحن بالحجة وأبرع في مجال الغلب في الخصومة، لا انه صاحب الحق بما يثبته به من البرهان، على ان القوم كانوا مستدلين، وفيما أخطأوا فيه متأولين، وما قالوه هو نكاية المقلدين، الذين يعذرون أنفسهم في الاصرار على ما ظهر لهم من ضلالهم بجهلهم وحذق خصمهم وخلابته في القول، فالجهل عذر الجاهل العارف والمعترف بجهله وعجزه، لا المستدل الذي ينافح عن دعواه بسيفه ورمحه،

وعلماء المذاهب التي يدعي الناس اتباعها يقولون ان الجهل عذر في المسائل التي من شأنها أن تخفى على العامة وان كانت مجمعا عليها كارث بنت الابن مع بنت الصلب السدس تكملة للثلثين الذي جعله الله تعالى في الكلالة فرضا للاثنين، ولا يجعلونه عذرا لاحد في المسائل المعلومة من الدين بالضرورة — قالوا — الا اذا كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ في شاهق جبل، وهذا مبني على أن معاشرة المسلمين كافية لمعرفة الضروري من عقائد الاسلام وأحكامه في العبادات والحلال والحرام وذلك كاف في صحة اسلام من يعرفه معرفة اذعان وان جهل جميع المسائل الاجتهادية والنصوص الخفية المجمع عليها فكيف بالمسائل المختلف فيها؟ على انه لابد أن يعرف الكثير منها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولما قال العلماء ذلك القول كانت معاشرة المسلمين كافية لمعرفة حقيقة الاسلام كما قالوا، ثم تغير الزمان، حتى صار المسلمون أنفسهم حجة على الاسلام، ويعترف بذلك خطباؤهم على منابر جوامعهم في خطب الجمعة، بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » ولا من القرآن الا رسمه » وبقولهم « صار المعروف منكرا والمنكر معروفا » وهذا القول حق واقع، ولكن لا يعتبر به القائل ولا السامع، وقد كان من أثره أن كثيرا من الناس حتى بعض المعممين منهم لا يطمئنون بدين أحد الا المعتصم بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الامة، ولا سيما اذا دعا الناس الى ذلك والى ترك البدع الفاشية، حينئذ ينبذونه بلقب وهابي أو عدو الأئمة المجتهدين، وأولياء الله المقربين، فالجهال قد اتخذوا من أسماء الأئمة والصالحين الذين هم اعداؤهم سهاما مسمومة يرمون بها أولياءهم والمتبعين لهم في الحقيقة لانهم يهتدون بالكتاب والسنة مثلهم، — فالكتاب والسنة ليس حجة عندهم ولا هداية لهم بل هما يردان بقول كل من ألف كتابا كتب في طرته انه العلامة فلان الفلاني مذهبا، والعلاني طريقة أو مشربا، فاتباع الكتاب والسنة عندهم ضلال بل ربما يرمون صاحبه بالكفر أو الزندقة كما بينا ذلك في غير ما موضع من المنار، وهذا من الخزي الذي يعد من أغرب جهل البشر، والخذلان الذي يمثل منتهى فساد العقول والفطر، يتبرأ منه ومن اهله أئمة الاثر والفقه والتصوف وعلماء بدلائل مذاهبهم وطرقهم. وهو ليس من التقليد الذي أجازه بعض هؤلاء العلماء في شيء فقد كانوا في خير القرون لا يعلمون عامة الامة الا ما نزله الله تعالى اليها وما بينه به رسولها، ولم يكن ثم مذاهب تحمل عليها، وانما كانت مباحث الاجتهاد محصورة في تعليم الخاصة ومجالس القضاء ونوازل الفتوى في الوقائع. ومن قواعد الاصول عندهم عدم جواز الاجتهاد مع وجود نص الكتاب أو السنة في المسألة وانه لا حجة في كلام أحد غير المعصوم وهم مجمعون على ان الأئمة الاربعة في الفقه وأئمة الصوفية كالجنيد والشبلي والبسطامي وأمثالهم غير معصومين وانما قال بعض الشيعة بعصمة نفر معروفين من أئمة آل البيت

وجمهور هؤلاء العلماء يفضلون سلف الامة على خلفها في العلم بحقيقة الدين والعمل به كما تقدم ويحثون على الاقتداء بهم ويردون كل ما خالف هديهم وسيرتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويستدلون به على الابتداع في الدين كما يستدلون بالنصوص - فنحن اذاً محتاجون في التمييز بين السنة والبدعة الى معرفة ما كان عليه جمهور السلف الصالح ونستمسك به نرد ما خالفه ولاسيما ما اتفقوا عليه وما كان الخلاف فيه شاذا أو ضعيف الرواية أو الدلالة، ولكننا نعذر من أخذ بقول أي عالم من أولئك الائمة لاعتقاده صحة دليله أو أنه هو حكم الله تعالى وان لم يعرف دليله

ثبت بالعقل والنقل والاختبار ان العمل بأحكام الدين ومنه القضاء بها والفتوى في تطبيقها على النوازل الواقعة أقوى بيانا للمراد بها من القول مهما يكن فصيحاً جلياً، فكلام الله أفصح الكلام وابلغه ومعنى هذا انه أعلاه بيانا واقناعا وتأثيرا ومع هذا كان بعض الصحابة يخطيء في فهم بعض احكامه وفي تطبيقها على العمل كما أخطأ من تمسك منهم في التراب كما تتمسك الدابة لانه فهم أن التيمم عن الجنابة يجب أن يمتاز عن تيمم الحدث وكما أخطأ من ربط في رجله عقالا أبيض وعقالا أسود ليتبين بالتمييز بينهما طلوع الفجر، ولهذا جعل الله تعالى رسوله (ص) مبينا لكتابه على وصفه اياه بأنه بيان للناس وتبيان لكل شيء ونور مبين، وتبيين الرسول (ص) بافعاله وأحكامه وفتاويه في النوازل أقوى وأظهر من تبيينه بأقواله ولذا أوتي هذا النبوة جوامع الكلام وصار أفصح من نطق بالضاد. لان أقواله ذات وجوه تحتمل التأويل كما قال الامام علي المرتضى في الكتاب العزيز بل هي أولى، وتختلف فيها الافهام كما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في أمره اياهم بان لا يصلوا العصر الا في بني قريظة ففهم بعضهم ان المراد عدم التأخر عن الوصول الى بني قريظة في ذلك الوقت فصلوا في الطريق ولم يتأخروا وحمل الآخرون الامر على ظاهره ولان العمل أبعث على القدوة والامتثال وذلك مما يعلم بالعقل والتجربة، وأظهر وقائعه في السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتحلل من عمرتهم عقب صلح الحديبية كرر الامر بالقول ثلاثا ولم يمتثلوا فاغتم عليه الصلاة والسلام وكانت زوجه أم سلمة رضي الله عنها معه فذكر له ذلك مستشيرا له فيه فأشارت عليه أن يخرج اليهم ولا يكلم أحدا حتى ينحر من عنده بدنه ويحلق رأسه ففعل فتبعه الناس مسرعين ولم يقم لهذا نظير منهم.

فعلم من هذا أن أحكام الدين لم تبين تمام التبيين الا بالسنة العملية وان الصحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انفسهم كانوا محتاجين اليها وكان يختلف اجتهادهم في الاقوال اذا لم تتبين بها، بل كان منهم من تأول النص الصريح في مقام الخصومة انتصارا لنفسه ودفاعا عنها كما تأول معاوية حديث عمار تقتله الفئة الباغية فقال: انما قتله من أخرجه، فرد أمير المؤمنين علي هذا القول حين بلغه بان يقتضي ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزه أي وجميع من قتل معه في بدر واحد وسائر الغزوات — فما تبين من أعمال الدين بالسنن المتبعة فعلا وتركا فهو الذي لا يسع احدا مخالفته ولا يعذر فيه وما سواه يعذر فيه الناس باختلاف الافهام والتأول مع الاعتقاد وحسن النية

وقد حدث بعد النبي (ص) من الاحداث والوقائع ما لم يكن في عصره ومختلف الاجتهاد في أحكامها من حيث تحقيق المناط وتنقيح المناط أي من حيث الاستدلال على الحكم ومن حيث تطبيقه على الوقائع بالعمل والقاعدة الاصولية في اجتهاد الافراد من الصحابة وغيرهم انه ليس حجة في الدين وانما يجب على من اجتهد في مسألة أن يعمل بما ظهر له أنه الحق فيها والقائلون بالتقليد يجيزون للعاجز عن الاجتهاد فيما يعرض له مما لا نص فيه أن يأخذ باجتهاد من يثق به من المجتهدين. وأما اجماع الصحابة فهو حجة عند جميع الائمة والامام أحمد لا يحتج باجماع غيرهم وكان الامام مالك يحتج باجماع أهل المدينة في زمنه أي زمن التابعين وتابعي التابعين وانما يظهر هذا في الشعائر والسنن العملية المتبعة لا فيما سبيله الاجتهاد. وجملة القول ان الله تعالى اكمل الدين بكتابه وبيان رسوله وكان أهل الصدر الاول من السلف الصالح هم الذين حملوا الينا هذا الدين كما سمعوه ووعوه بالقول والعمل، فمعرفته متوقفة على معرفة روايتهم له وسيرتهم في العمل به

ولا شك أن العمل بالاسلام عبادة ومعاملة وسياسة وقضاء كان في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على أكمل الوجوه، بل قال بعض علماء الاصول ان اجماع الخلفاء الاربعة حجة واحتجوا لذلك بحديث العرباض بن سارية مرفوعا «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد[1] وانه من يعش منكم

(١) وفي رواية «ولو عبدا حبشا» وهذا في الامراء والحكام الذين يوليهم الامام الاعظم فلا ينافي أحاديث حصر الائمة في قريش كما نقله الحافظ ابن رجب وغيره في شرح الحديث وأيدوه بحديث علي عند الحاكم والدارقطني مرفوعا =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » وفي رواية « فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وكذا غيرهما من وجوه وطرق ، واختاره النووي في الاربعين . بل ذهب بعضهم الى الاحتجاج بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، وبعضهم بالاحتجاج بما سنه عمر أي سن في خلافته لما ورد في ذلك ولبيان وجه هذا مكان آخر يعلم منه انه ليس على اطلاقه حتى عند القائلين به . وذكر الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن الامام مالك انه قال : قال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده سننا الاخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة على دين الله ليس لاحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها فمن اهتدى بها فهو المهتدي ومن استبصر بها فهو المنصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا (قال) وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك انه قال : أعجبني عزم عمر ذلك — يعني هذا الكلام . وروى عبد الرحمن بن مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكه عن عمر اه ويجمع بين الروايتين بأن مالكا كان يرويه تارة وينقوله تارة مقررا له في نفسه على غير طريق الرواية — فعمل جمهور الصحابة والتابعين وسياسة الخلفاء الاربعة الراشدين وقضاؤهم وادارتهم لامور الامة

وموقوفاً « وان أمرت قريش فيكم عبداً حبشياً فاسمعوا له واطيعوا » وذهب بعض العلماء أنه انما ذكر العبد الحبشي على طريق ضرب المثل وان يصح وقوعه كما قال في حديث الترغيب في بناء المساجد « من بنى لله مسجد ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » رواه أحمد عن ابن عباس بسند صحيح ويستحيل ان يكون المسجد كمفحص القطاة وهو المكان الذي تحفر برجلها وتبيض فيه . والامة مجمعة على أن العبد أي المملوك كما هو المتبادر هنا لايجوز أن يكون الامام الاعظم صاحب الولاية العامة على المسلمين ، ولا أن يلي مادون ذلك من ولاية الامر وقال بعضهم ان في هذا الحديث وما معناه اشارة الى مكان في الامة بعد من ولاية العبيد والمماليك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الحرب والسلم ومعاملة المبتدعة وأرباب الاهواء والثوار الخارجين على ائمة الحق والعدل كل ذلك نبراس نهتدي به ونعرف حكم الله تعالى فيه ، وحاجتنا اليه في كل زمان ومكان كحاجة الصحابة رضوان الله عليهم في زمن الرسول الى مشاهدة أفعاله وسماع احكامه والوقوف على قضائه وسيرته في الحرب والسلم

وسنبين ان شاء الله تعالى مزية كل خليفة من الاربعة وحكمة الله تعالى في ترتيبهم على حسب أعمارهم وما ترتب على ذلك من المصالح

﴿ نتيجة هذه المقدمات — والمقصود من هذه التمهيدات ﴾

مكان مسلمي عصرنا من دينهم

(١) علم مما تقدم ان ما عليه جماهير المسلمين اليوم في أمورهم الدينية ممزوج بالبدع والضلالات والفسق وترك الفرائض وفشو الفواحش وكثرة الشبهات الا في بلاد قليلة فمباشرة المسلمين لايمكن أن يعرف منها حقيقة دينهم في مثل القطر المصري أو الحجازي دع مادونهما في العلم والعراقة في الاسلام وان نجوم هذه البدع بدأ في خلافة عثمان فما كان عليه المسلمون قبلها فهو الاسلام الخالص، وما كان في خلافة علي من معاملة الخارجين عن الاسلام باسم الاسلام، والخارجين من المسلمين على أئمة الحق بالشهوات أو الشبهات، والمبتدعين فيه ما ليس منه بالتأويلات، فهو الحق الذي يهتدى في أمثال هذه المشكلات، والنور الذي يستضاء به في دياجير الظلمات ، وعليه جرى علماء السلف الصالح من حملة السنة وأئمة العترة ورواة الآثار، وأهل الاجتهاد الصحيح من علماء الامصار

مصادر الاسلام وحملته وكتبه

(٢) ان دين الله الاسلام هو كتابه تعالى وما بينه من سنة رسوله بالقول والعمل الذي كان عليه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة عترة النبي (ص) قبل حدوث الفتن واحداث البدع وفي أثنائها ، وحملته الى الامة هم الذين حفظوا الكتاب والسنة وصنفوا الكتب في الاخبار والآثار وسيرة أهل الصدر الاول وميزوا صادقها من كاذبها وصحيحها من سقيمها وأئمة الامصار في القرون الثلاثة الذين بينوا للناس طرق فهم النصوص والاستنباط منها. فما أجمعوا عليه من أمر الدين فهو الذي لايسع مسلما تركه ، وما اختلفوا فيه يرد الى الكتاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والسنة كما أمر الله تعالى بقوله (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) أي مآلا وعاقبة. والرد في الامور العامة منوط بأولي الامر، وفي الوقائع الخاصة بعمل كل فرد بما ظهر له الدليل على صحته، فان لم يكن من أهل الدليل عمل بما يفتيه به من يثق بعلمه بالكتاب والسنة ودينه في الاهتداء بهما

عمل جمهور السلف حجة وهدى

(٣) عمل جمهور السلف الصالح حجة فيما يختلف أهل النظر والاستدلال فيه باجتهادهم أو اختلاف أفهامهم وتأويلهم النصوص ولكننا نعذر المخالف لجمهور السلف بالاجتهاد والتأول اذا علمنا من حاله انه مؤمن بأن كل ماجاء به الرسول من أمر الدين حق، ومسلم مذعن لذلك على الوجه المبين في المقدمات، وحينئذ نعامله معاملة المسلمين في الصلاة معه وفي أحكام النكاح والارث وغير ذلك مع الرد عليه ومجادلته بالتي هي أحسن والتحذير من بدعته اذا كانت مخالفته ابتداعا أو فسقه اذا كانت فسقا، مهتدين في ذلك بما كان أهل الصدر الاول يعاملون به المنافقين والمؤلفة قلوبهم من ضعفاء المسلمين الذين قبلوا أحكام الاسلام والخوارج والمبتدعة المتأولين، مثال ذلك اننا لانعتد باسلام أحد يكذب القرآن أو يستحل مخالفته وانما نعذر من يفهم بعض آياته فهما مخالفا لفهم السلف مع التسليم والاذعان النفسي لكل مافيه ولو بحسب فهمه، ولا نعتد باسلام من يكذب الرسول أو يستحل مخالفته فيما يعتقد هو انه جاء به من دين الله ولكننا نعذر من لم يصدق رواية بعض الاحاديث لشبهة عنده في المتن أو السند فكذب مضمونها أو خالفه لذلك وان صح عندنا، ورد عليه بالتي هي أحسن. فقد أمرنا بدرء الحدود بالشبهات؛ وأولى الحدود أن يدرأ حد الردة والخروج من الملة

بم يكون الارتداد عن الاسلام

(٤) انما جعل العلماء المتقدمون مدار الارتداد عن الاسلام على جحد المجمع عليه المعلوم بالضرورة من أمر الدين لان الجهل عذر عندهم والمدار في صحة الاسلام الاذعان النفسي والعملي لاحكامه وهو فرع العلم بها ولذلك صرحوا بان من نشأ في شاهق جبل أو كان حديث عهد بالاسلام يعذر حتى بجحده المعلوم من الدين بالضرورة عند جمهور المسلمين لانه ليس معلوما عنده ولم يصدقوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناشيء بين المسلمين أو من طال عهد اختلاطه بهم بعد الاسلام اذا جحد شيئاً وادعى الجهل ليتنصل من الحد مثلا. وقد بينا في المقدمات ان مباشرة المسلمين في أكثر البلاد الاسلامية في هذه الازمنة لا تقتضي معرفة حقيقة الاسلام في عقائده وعباداته الخالية من البدع وسائر أحكام الحلال والحرام، وانما يعلم اسلام المرء باذعانه وخضوعه لما علم انه من الاسلام، ومن كان هكذا فعلاج ما يجهله تعليمه واقامة الحجة عليه. وقد جربنا هذا العلاج فشفي به كثيرون من أدواء الشرك والابتداع والشكوك والاوهام، فالسليم الفطرة ذو الجهل البسيط يشفى بسرعة عجيبة وانما يعسر شفاء أصحاب الجهل المركب الذين أخذوا شيئاً من قشور الكلام والفقه وتأويلات أدعياء الفقه والتصوف فهم يردون بها الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح (ولا حول ولا قوة بالله العلي العظيم) وهذا هو البلاء المبين الذي أضاع الاسلام ولا علاج له الا الا بناء التعليم الاسلامي في مدارسه وغيرها على التفسير والحديث وسيرة السلف الصالح وتلقين كل مسلم ما تقدم تقريره في ذلك

معاملة المبتدعة والمنافقين والفاسقين

(٥) اننا على كوننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة فيما يأتيه جاهلا أو متأولا نحتاط لديننا فيمن نعلم بالاختبار الشخصي انهم على شيء من الشرك الجلي أو النفاق من غير أن تفرق الجماعة أو تحدث الفتن بين المسلمين فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة كحذيفة بن اليمان يعرفون بعض المنافقين باعيانهم ولا يجيبونهم بذلك ولا يخبرون الناس به رجاء أن يصلحوا ويوقنوا بطول مباشرة المسلمين، وكان علماء الصحابة والتابعين يصلون مقتدين بأئمة الجور من بني أمية وعمالهم، والاسوة الكبرى في هذا الباب سيرة علي كرم الله وجهه في الخوارج ومعاوية وأنصاره. وانني على هذا لا أصلي مقتديا بمن أعلم باختباري الشخصي أنه مشرك أو كافر بغير الشرك وان كان يظهر الاسلام ولا أعطيه شيئاً من الزكاة الواجبة الا اذا كان من المؤلفة قلوبهم. فهذا ما عندي من الجواب عن سؤال الموحدين في دمياط كثرهم الله تعالى وبارك فيهم

وانني أتبع هذا ببيان سيرة السلف الصالح فيما ذكر من أمر الابتداع والاختلاف في الدين وأهله من أصحاب الاهواء وغيرهم ثم اعقبه بما أراه نافعا في الاقتداء بهم. عسى أن يهتدي به الغلاة في الدين والمفرطون فيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شرح قاعدة « لانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب »

وبيان عدم كفر المبتدع في الدين جاهلا أو متأولا

هذه القاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين يصدق عليهم هذا القول لا من يسمون أنفسهم بهذا الاسم ليتميزوا من المعروفين بأسماء أخرى . وهي تذكر في بعض العقائد . وقد رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية تحقيقا نفيسا مطولا فيها ذكره في سياق تخطئة الرافضة في سب الصحابة (رض) وبيان ان الرد عليهم وعلى كل مخطئ في الدين يجب ان يقصد به بيان الحق وهداية الخلق دون التشفي والانتقام. وذكر ان الكلام في هذا مبني على مسألتين وبين ذلك بما نصه :

(احداهما) ان الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقوله الخوارج ، بل ولا تخليده في النار ومنع الشفاعة فيه كما تقوله المعتزلة .

(الثانية) ان المتأول الذي قصد متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق اذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها. وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وانما هو في الاصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم (فيها) كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . وقد يسلكون في التكفير ذلك فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع . وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية. وهذا القول أيضا لا يوجد في طائفة من أصحاب الائمة الاربعة ولا غيرهم وليس فيهم من كفر كل مبتدع ، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك

ولكن قد ينقل عن أحدهم انه كفر من قال بعض الاقوال ويكون مقصوده ان هذا القول كفر ليحذر ولا يلزم اذا كان القول كفرا ان يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل (١) فان ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في

(١) لعل الاصل ولو مع الجهل والتاويل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقه وذلك له شروط وموانع كما بسطناه في موضعه . واذا لم يكونوا في نفس الامر كفارا لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم. واذا قال المسلم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) يقصد كل من سبقه من قرون الامة بالايمان وان كان قد أخطأ في تأويل تأوله خالف السنة أو أذنب ذنبا ، فانه من اخوانه الذين سبقوه بالايمان فيدخل في العموم وان كان من الثنتين والسبعين فرقة فانه ما من فرقة الا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الاسلام بل جعلهم من أمته ولم يقل انهم يخلدون في النار

فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته فان كثيرا من المتنسبين الى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتميزوا بحروراء وخرجوا عن الطاعة والجماعة قال لهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ان لكم علينا ان لا نمنعكم من مساجدنا ولا حقكم من الفيء ثم أرسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم ثم قاتل الباقي وعليهم ومع هذا لم يسب لهم ذرية ولا قسم لهم مالا ولا صار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد على علي ذلك. فلم يتفق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الاسلام

قال الامام محمد بن نصر المروزي وقد ولي علي رضي الله عنه قال أهل النهي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى وسماهم مؤمنين وحكم فيهم بأحكام المؤمنين وكذلك عمار بن ياسر وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه حدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهلهل عن الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال كنت عند علي حين فرغ من قتال أهل النهروان فقيل له أمشركون هم؟ قال من الشرك فروا فقيل أفمنافقون؟ قال المنافقون لا يذكرون الله الا قليلا. قيل فما هم؟ قال قوم بغوا علينا فقاتلناهم. وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحق حدثنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكيع عن مسعر عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال قال رجل: من دعي الى البغلة الشهباء يوم قتل المشركون؟ فقال علي من الشرك فروا، قال المنافقون، قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا، قال فما هم؟ قال قوم بغوا علينا فقاتلناهم فنصرنا عليهم. قال اسحق حدثنا وكيع عن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال قالوا لعلي حين قتل أهل النهروان أمشركون هم؟ قال من الشرك فروا، قيل فمنافقون؟ قال المنافقون لا يذكرون الله الا قليلا، قيل فما هم؟ قال قوم حار بونا فحاربناهم وقاتلونا فقاتلناهم

(قلت) الحديث الاول وهذا الحديث صريحان في ان عليا قال هذا القول في الخوارج الحرورية أهل النهروان الذين استفاضت الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذمهم والامر بقتالهم، وهم يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر، فانما دار الاسلام عندهم هي دارهم. قال الاشعري وغيره: اجمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع هذا علي قاتلهم لما بدأوه بالقتال فقتلوا عبد الله بن خباب وطلب علي منهم قاتله، فقالوا كلنا قتله وأغاروا على ماشية فقتلوا الناس ولهذا قال فيهم قوم قاتلونا فقاتلناهم وحاربونا فحاربناهم، وقال قوم بغوا علينا فقاتلناهم

وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء فانهم بغاة على جميع المسلمين سوى من وافقهم على مذهبهم. وهم يبدءون المسلمين بالقتال ولا يندفع شرهم الا بالقتال فكانوا أضر على المسلمين من قطاع الطريق. فان أولئك انما مقصودهم المال فلو اعطوه لم يقاتلوا وانما يتعرضون لبعض الناس وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة الى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن. ومع هذا فقد صرح علي رضي عنه بانهم مؤمنون ليسوا كفارا ولا منافقين. وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كابي أسحق الاسفرائيني ومن تبعه يقولون لا نكفر الا من يكفرنا، فان الكفر ليس حقا لهم بل هو حق لله وليس للانسان أن يكذب على من يكذب عليه ولا (ان) يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله بل ولو استكرهه رجل على الوطء لم يكن له أن يستكرهه على ذلك، ولو قتله بتجريع خمر أو تلوط لم يجز قتله بمثل ذلك، لان هذا حرام لحق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله تعالى. ولو سب النصارى نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة اذا كفروا أبا بكر وعمر فليس لنا أن نكفر عليا . وحديث أبي وائل يوافق ذينك الحديثين فالظاهر انه كان يوم النهروان أيضا

وقد روي عنه في أهل الجمل وصفين قول أحسن من هذا، قال اسحاق بن راهويه حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن ابيه قال سمع علي يوم الجمل و يوم صفين رجلا يتلو في القول فقال لا تقولوا الا خيراً انما هم قوم زعموا انا بغينا عليهم وزعمنا انهم بغوا علينا فقاتلناهم، فذكر لابي جعفر انه أخذ منهم السلاح فقال ماكان أغناه عن ذلك . وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن خالد حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عمن قتل من أصحاب معاوية: ما هم ؟ قال هم المؤمنون، و به قال احمد بن خالد. حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الواحد بن ابي عون قال مر علي - وهو متكئ على الاشتر - على قتلى صفين فاذا حابس اليماني مقتول فقال الاشتر : انا لله وانا اليه راجعون هذا حابس اليماني معهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية أما والله لقد عهدته مؤمنا ، قال علي والآن هو مؤمن ، قال وكان حابس رجلا من أهل اليمن من أهل العبادة والاجتهاد. قال محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع عن أبي مطر (قال) قال علي: متى ينبعث أشقاها؟ قيل من أشقاها ؟ قال الذي يقتلني. فضربه ابن ملجم بالسيف فوقع برأس علي رضي الله عنه وهم المسلمون بقتله فقال لا تقتلوا الرجل فان برئت فالجروح قصاص وان مت فاقتلوه، فقال انك ميت، قال وما يدريك؟ قال كان سيفي مسموما - و به قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن وهو ابن الحكم النخعي عن رياح بن الحارث قال: انا لبوادٍ وان ركبتي لتكاد تمس ركبة عمار بن ياسر اذ أقبل رجل فقال كفر والله أهل الشام، فقال عمار لا تقل ذلك فقبلتنا واحدة ونبينا واحد، ولكنهم قوم مفتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا الى الحق - و به قال ابن يحيى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رياح بن الحرث عن عمار بن ياسر قال: ديننا واحد وقبلتنا واحدة ودعوتنا واحدة ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى حدثنا بهلول حدثنا مسعر عن عبد الله بن رياح عن رياح بن الحرث قال قال عمار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن ياسر: لا تقولوا كفر أهل الشام، قولوا فسقوا قولوا ظلموا. قال محمد بن نصر وهذا يدل على أن الخبر الذي روي عن عمار بن ياسر انه قال لعثمان بن عفان: هو كافر. خبر باطل لا يصح لانه اذا انكر كفر أصحاب معاوية وهم انما كانوا يظهرون انهم يقاتلون في دم عثمان فهو لتكفير عثمان أشد انكارا (قلت) والمروي في حديث عمار انه لما قال ذلك انكر عليه علي رضي الله عنه وقال أتكفر برب آمن به عثمان وحدثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار ان كان قال ذلك متأولا قد رجع عنه حين تبين له انه قول باطل

ومما يدل على ان الصحابة لم يكفروا الخوارج انهم كانوا يصلون خلفهم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجدة الحروري وكانوا أيضا يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل اليه يسأله عن مسائل وحديثه في في البخاري، وكما أجاب نافع ابن الازرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الاحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه في الحديث الذي رواه أبو امامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فانهم لم يكن أحد شرا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فانهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة، ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم باحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وصاروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والاهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين وقد ضعفه ابن حزم وغيره لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن. وروى من طرق وليس قوله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة» أعظم من قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقوله (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لمعين بالنار لامكان انه تاب أو كانت له حسنات محت سيآته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم بل المؤمن بالله ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول اذا اخطأ ولم يعرف الحق كان اولى ان يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب، فان هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمدا للذنب، بل هو مخطئ والله قد تجاوز لهذه الامة عن الخطأ والنسيان، والعقوبة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين وان كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب، كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب أهل الذمة من اليهود والنصارى والمسلم في الآخرة خير منهم

وأيضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل لهواه لا لدينه، ويصد عن الحق الذي يخالف هواه، فهذا يعاقبه الله على هواه، ومثل هذا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم كما روي عن سعد بن أبي وقاص انه قال (نزل) فيهم قوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقين، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) فقد يكون هذا قصده، لاسيما اذا تفرق الناس فكان منهم من يطلب الرياسة له ولاصحابه. واذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء وذلك ليس في سبيل الله فكيف بأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها؟ فانهم يفعلون ذلك شجاعة وحمية، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله لا لمجرد الخطأ الذي اجتهدوا فيه، ولهذا قال الشافعي: لأن أتكلم في علم يقال لي فيه أخطأت، أحب لي من أن أتكلم في علم يقال لي فيه كفرت

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا. ومن محامد أهل العلم انهم يخطئون ولا يكفرون. وسبب ذلك ان أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفرا، وقد يكون كفرا لانه لم يبلغه انه تكذيب للرسول وسب للخالق والآخر لم يتبين له ذلك، فلا يلزم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذا كان هذا العالم بحاله يكفر[1] اذا قاله ان يكفر من لم يعلم بحاله

والناس لهم فيما يجعلونه كفرا طرق متعددة فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك. ومنهم من يقول الكفر هو الجهل بالله. ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف وقد لا يجعله، وهم مختلفون في الصفات نفيا واثباتا. ومنهم من لا يحده بحد بل كل ما تبين انه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الايمان بالله واليوم الآخر جعله كفرا — الى طرق أخر. ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر. وبغضه وسبه وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف الا الجهم ومن وافقه كالصالحي والاشعري وغيرهم فانهم قالوا هذا كفر في الظاهر وأما في الباطن فلا يكون كفراً الا اذا استلزم الجهل بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب، وهذا بناء على ان الايمان في القلب لا يتفاضل ولا يكون في القلب بعض من الايمان. وهو خلاف المنصوص الصريح وخلاف الواقع، وليبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا ان كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه واذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الانسان ان يكون في هذا قاصدا لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله خالصا صوابا، قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى، تلك أمانيهم. قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه وعمله لله وهو محسن في عمله. وقال الفراء في قوله (فقل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي وقال الزجاج قصدت بعبادتي الى الله وهو كما قالوا كما قد ذكر توجيهه في موضع آخر، وهذا المعنى يدور عليه القرآن فان الله تعالى أمر أن لا يعبد الا اياه وعبادته فعل ما أمر وترك ما حظر، والاول هو اخلاص الدين والعمل لله، والثاني هو الاحسان والعمل

(١) لعل الاصل: يكفره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصالح، ولهذا كان عمر يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لاحد فيه شيئا. وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض في قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة.

والامر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر بمعروف ونهي عن منكر وهو من أفضل الاعمال الصالحة فيجب ان يبتغى به وجه الله وان يكون مطابقا للامر، وفي الحديث « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي ان يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه »(١) فالعلم قبل الامر والرفق مع الامر والحلم مع الامر فان لم يكن عالما لم يكن له ان يفتي بما ليس له به علم، وان كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد وقد قال الله تعالى لموسى وهارون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ثم اذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤذى في العادة فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى (وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) وقد أمر الله نبيه بالصبر

(١) المنار: قوله وفي الحديث الخ لم أر الحديث بهذا اللفظ في شيء من دواوين السنة ولا فيما جمع منها ككنز العمال والمصنف بحر واسع. وفي معناه حديث « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » رواه البيهقي في شعب الايمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفي سنده سالم بن ميمون الخواص ضعيف لا يحتج به ولا يكتب حديثه روا عن المثنى بن الصباح الفارسي وهو ضعيف مختلف فيه قال الامام أحمد لا يسوى حديثه شيئا. وقال ابن معين رجل صالح يكتب حديثه ولا يترك. لكن رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ « لا ينبغي للرجل ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يامر رفيق بما ينهى عالم فيما يامر عالم بما ينهى عدل فيما يامر عدل فيما ينهى » وذكر في الاحياء للغزالي « لا يامر بالمعروف وينهي عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهي عنه حليم فيما ينهي عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه » قال الحافظ العراقي لم أجده هكذا. وذكر حديث البيهقي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على اذى المشركين في غير موضع وهو امام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فان الانسان عليه أولا ان يكون أمره لله وقصده طاعة الله فيما امر به وهو يحب صلاح المأمور واقامة الحجة عليه فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم اذا رد عليه ذلك أو أوذي أو نسب الى أنه مخطئ وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وانه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم ورياستهم وما نسب اليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم وان كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن كان يوافقهم وان كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا الى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا وبلغة المثل هذا « بال » هذا « باغي » لا ينظرون الى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة ، وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والمعاداة لله والعبادة لله والاستعانة بالله والخوف من الله والرجاء لله والمنع لله والاعطاء لله ، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله. وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى اذا حصل ما يرضاه بهواه ويغضب اذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين ان الذي يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مما هو في سبيل الله فكيف اذا كان الذي يدعي الحق أو السنة هو كنظيره منه حق وباطل وسنة وبدعة؟ وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وكفر بعضهم بعضاً وفسق بعضهم بعضاً ولهذا قال تعالى فيهم (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة) فاختلفوا (١) كما في سورة يونس (١) وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين انهم كانوا على دين الاسلام وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس انهم كانوا على الكفر وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه أنه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقد قال في سورة يونس (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا) فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقاً

والاختلاف في كتاب الله على وجهين (أحدهما) أن يكون كله مذموماً كقوله (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) والثاني أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم «انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم» ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بانه كله مذموم، قال الزجاج في اختلافهم وجهان

---

(١) يوشك ان يكون قد سقط من هنا شيء ولو بعض آية البقرة التي أورد جملة منها وهي (كان الناس أمة واحدة) وبعده (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) أي كان بعثهم بعد الاختلاف الذي صرح به آية يونس وسيذكرها وفي قراءة ابي ابن كعب الذي أشار اليه المصنف بقوله بعض الصحابة ولعله قصد بها التفسير (٢) لعل أصله تفسير الجمهور أي للامة الواحدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(احدهما) كفر بعضهم بكتاب بعض (والثاني) تبديل مابدلوا ، وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه وهو تبديل ما بدل ، فالاختلاف لابد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف أنواعاً من هذا (ثم قال المؤلف بعد ذكر ستة أنواع من اختلاف أهل الكتاب حذفناها للاختصار مانصه)

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط(١) فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء، والقدري النافي يقول ليس المثبت على شيء والقدري الجبري المثبت يقول ليس القدري النافي على شيء والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء. بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء، والاشعري يقول ليس السالمي على شيء والسالمي يقول ليس الاشعري على شيء وصنف السالمي كأبي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الاشعري وصنف الاشعري كابن عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه ، وذكر فيه مثالب السالمية ، وكذلك أهل المذاهب الاربعة وغيرها لاسيما وكثير منهم تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك وينسبه الى مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية وينسبه الى مذهب أبي حنيفة . وهذا من جنس الرفض والتشيع لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء لا تشيع في تفضيل بعض الصحابة

والواجب على كل مسلم يشهد أن لااله الا الله وان محمداً رسول الله ان يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لاشريك له وطاعة رسوله يدور على ذلك ويتبعه أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الانبياء هم الصحابة فلا فلا يتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً الا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فان الهدى

(١) يريد النمط الاخير الذي حكاه الله تعالى في قوله عنهم (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فاذا اجتمعوا لم يجتمعوا على خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فانهم قد يجتمعون على خطأ بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأئمة لا يكون الا خطأ فان الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيه بقول الرافضة في الامام المعصوم، ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب في الاصول والفروع ويمتنع أن يكون هؤلاء جاؤا بحق يخالف ما جاء به الرسول فان كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم باحسان فان أولئك لم يجتمعوا على ضلالة فلا بد أن يكون قوله ان كان حقاً مأخوذاً عما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل قول قيل في دين الاسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه فانه قول باطل

والمقصود هنا ان الله تعالى ذكر ان المختلفين جاءتهم البينة وجاءهم العلم وانما اختلفوا بغيا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فانهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين، بل كانوا قاصدين البغي عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به ، ونظير هذا قوله (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) قال الزجاج اختلفوا للبغي لا لقصد البرهان. وقال تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقال تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين * هذا بصائر للناس وهدى ورحمة) فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات فاختلفوا للبغي والظلم ، لا لاجل اشتباه الحق بالباطل عليهم. وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الاهواء كلهم لا يختلفون الا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم العلم فيبغي بعضهم على بعض. (للبحث بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دعوة عرب الجزيرة العربية الى الوحدة والاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ثبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها علماء العرب وغيرهم من الامم قديما وحديثا ومن العاديات (الآثار القديمة) التي اكتشفت في أقطار مختلفة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى انهم استعمروا أقدم البلاد مدنية كمصر وسورية والعراق، فلهم في حضارة الفراعنة والفينيقيين والكلدانيين العرق الراسخ، والمجد الشامخ. فان لم تكن تلك الامم فروعا منهم، فلها وشائج أرحام مشتبكة بهم، من قبل أن مزجها الاسلام بهم في الدين واللغة والنسب بألوف السنين.

فمن ذلك ماحكاه في القرآن المجيد عن قوم عاد (ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد) كقول نبيهم هود في مبانيهم وقوتهم (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ۞ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ۞ واذا بطشتم بطشتم جبارين) وقوله في نسلهم وزرعهم وضرعهم (أمدكم بأنعام وبنين ۞ وجنات وعيون) وبيانه لهم ان هذه النعم يزيدها الرجوع الى الله بالايمان وترك المعاصي نماء وقوة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم) وما حكاه عن ثمود وقول رسولهم صالح لهم في تذكيره بنعم الله عليهم (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه) وقوله (أتتركون فيما ههنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وما قصه لنا عن سبأ في سورتها لجنانهم عن اليمين والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة في أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وناهيكم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشوري دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبته الذين اكتشفوا آثار الكلدانيين في العراق وشريعة ملكهم حمورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية ، وهذا الملك كان كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشور اذ كان من رعيته وانه بارك ابراهيم . فدل هذا على ان ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثري المصري من امتزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمروا مصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان للغتهم الاثر الخالد في لغتها

هذا الملخ تاريخي وجيز لمدينة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ ألوف السنين وان في لغتهم الغنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضعفت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبدت بعد تلك الحضارة ، وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الامية ، وكادت تعمها الجاهلية الوثنية ، (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ومر على هذا الضعف قرون وتعاقبت عليه أجيال ، حتى ظن الظانون أن هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الامة هرمت وقاربت الزوال ، فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب ،

ثم جاء الاسلام فجمع شملها بعد فرقة وشتات . والف بين قلوب قبائلها وأفرادها بعد عداوة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات ، وأخرجها من ظلمات الجاهلية والامية . الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها المكانة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة ، والكلمة العليا في الحكم والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكاسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من اليابسة في الغرب ، وأحيت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون ورقت الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة ، فسادت شريعتها جميع الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب

ولكن حفظ جزيرتها من هذا الممران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى اللغة ، فأنى لبدو الجزيرة وحضرها في هذا العصر بما يقرب من تلك المكنة العليا في الفصاحة والبلاغة التي جعلت لكتاب الله المعجز تلك المكانة من عقولهم وقلوبهم ، حتى ان كان أحدهم ليسمع السورة أو الآية منه فيخرج ساجدا ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته بهدايته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد ألف الاسلام بينهم فكانوا بنعمة الله اخوانا ، ويرتزق قويهم بسلب ضعيفهم بعد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيعا تكفر كل شيعة منهم الاخرى أو تفسقها بعد تلك الوحدة العظيمة ، جاهلين أو غافلين عن قول ربهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وما في معناه من الآيات والاحاديث .

ان هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتعاديهم في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أئمة الامم في العلم والحكم والآداب والعدل في اثر اخراجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق والتعادي والجهل والفقر الا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم اليها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شيعة تجمعها راية مذهب فانما الواجب عليها ان تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها ان تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا في الرأي، وتنازعوا في الامر خلافا لقوله عز وجل (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وشبهتها في هذه المخالفة أن الاهتداء بكتاب الله المنزل ، فتح لباب الاجتهاد المقفل فاختلفوا في أصل الاهتداء بالكتاب، الذي أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسله لهداية خلقه (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فكيف يؤخذ بقول العلماء أو الامراء الذين يبغي بعضهم على بعض، فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر، اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع، ويحكموه في الخلاف الواقع، وهو يقول (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ثم يعلل ذلك تعليلا، بقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة ومآلا من كل ماعداه فكيف لايكون خيرا من اتباع أهوائهم، في تحكيم آرائهم، والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما، لا يستلزمان الاجتهاد الاصولي المطلق الذي أقفلوا بابه ، فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا في استنباط جميع الاحكام ، كائمتهم المشهورين وعلمائهم الاعلام

نعم ان الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين في بقاع نجد ، فرجع الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك، وبدأت تنتشر دعوته في جميع جزيرة العرب التي يتعذر اصلاحها وجمع كلمتها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام في جميع أقطار المسلمين. ولكن حال دون ذلك فتنتان (أولاهما) مقاومة السياسة لها ، والاخرى غلو الكثير من القائمين بها ، فالاولى أذاعة السياسة في العالم كله ان هذه دعوة ابتداع في الدين ، والغلاة أيدوا هذه الاذاعة بما اشتهر عنهم من الغلو ولاسيما تكفير من عداهم من المسلمين، ولهذه التهمة أصل ، وقد بينا الحقيقة في هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسألة من قبل ، وغرضنا من الالمام بذكرها الآن ، بيان استعداد العرب للصلاح والاصلاح بدعوة الايمان، اذا قام بها من يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كما أمر القرآن. وتذكير الغلاة من المتدينة بأن لا يغلو في دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ، ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص ، وان يعذروا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، ويعتمدوا في بث الدعوة على نشر العلم والعمل به على قاعدة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وان لا يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنب ، وان يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب الايمان به عن جهل وان عد بعضه الفقهاء كفرا ردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة. فاذا علموا هذا وعملوا به لا تلبث الدعوة ان تعم الجزيرة وغيرها و يسقط كل من يعارضها حرصا على الزعامة وحب الرياسة .

هذا وان لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء سببا أصيلا وراء الخلاف الديني للبغي، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض، وسببين عارضين وهما الجهل والفقر، وازالة السببين العارضين من الامور الكسبية القريبة المنال، وانما الشقاء كل الشقاء في الشقاق الناشئ عن حب الرياسة والملك وخطره المنذر بالهلاك والزوال

ان في بلاد العرب من ينابيع الثروة ما يكفي لجعل أهلها من أغنى شعوب الارض كمعادن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير ذلك ، وفي كثير من أرضها قابلية لخصب الزراعة يعز نظيره في غيرها ، وناهيك بقهوة اليمن ونخيل المدينة وفاكهة الطائف، وأهلها أزكى الشعوب وأقواها استعدادا للتجارة حتى ان عوام الحضارمة قد زاحموا بها أرقى شعوب هذا العصر علما وتجربة في بلاد الهند وجاوة ومصر، فبقليل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب في حياة جديدة من الثروة والعمران، وتحفظ نفسها من الخطر المحدق بها الآن، ولكن ذلك يتوقف على ازالة العداء الذي طرأ على أئمتها في هذا الزمان

اذا زال الشقاق وأديل منه الاتفاق بين أئمة اليمن والحجاز ونجد . زال في أثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ، واذا حل بالجزيرة ما جعله الله تعالى بسننه في البشر ، عقابا لازما لاهل النازع والفشل ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يذل الاسلام ويزول سلطانه عن رءوس سائر الامم، وتكون تبعة ذلك على أمراء الجزيرة وأئمتها، وما يظن بأحد منهم انه يحسب أن بلاده بمأمن من سيطرة الاجانب بقوتها، أو بحرها وعورتها اذ لم يبق (فيما أظن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ماهو مثلها أو أشد منها قوة، وأبدع حرا وأصعب وعورة، على انه ليس مثلها في كونه جزيرة أو شبه جزيرة؛ فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر، ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق، ولاسيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سورية والعراق، التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجت من تلك السيطرة وليتذكروا جميعا ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم، وحكمة ما أشار اليه من ان الاسلام سيأرز اليها كما تأرز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن

ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب واصلاح شؤونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح، الموءيد لحديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح، وهو قوله عليه الصلاة والسلام «اذا ذلت العرب ذل الاسلام» ولا عز بغير استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال، ولا قوة ولا ثروة، مع الشقاق والفرقة، وانما القوة كل القوة بالاعتصام والوحدة؛ فاذا اتحد أمراء الجزيرة وأئمتها حفظوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة في بلادهم، بمساعدة أهل البصيرة والقادرين على تنظيم الادارة والقوة وتدبير الثروة من أمتهم، وتسابقت الشعوب الغنية القوية الى موادتهم أو مصانعتهم، للاستفادة من قوتهم وثروتهم، بل هي على ذلك الآن اليهم منذ الآن، لما بين غربي أوربة وشرقيها من المقارعة والصدام، الذي يتوقف على نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام، ولا سيما شعوب الاسلام، من العرب والترك والفرس والتتر والافغان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصيرة والدين، من عقلاء العرب وعلماء المسلمين، الذين يتنفسون الصعداء حزنا، ويحرقون الارم غيظا واسفا، كلما صخ اسماعهم نبأ تقاتل أئمة الجزيرة، للتنازع على بعض الجبال والاودية [1] مع خراب البلاد، وفقر العباد، اللذين يزيلهما الاتفاق والاتحاد، ويزيدهما الافتراق والجلاد، وانني بلسان صفوة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين، أدعوهم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الآتية:

(١) ابطال الحرب والغزو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة موقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حلفي ثابت

(٢) حفظ الحالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض منضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها

(٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة في البلاد في التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد في مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل يتبع في ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذهب المعتمدة أحكام الدين والكفر والحلال والحرام ولكن ليس له أن يطلقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط ولاسيما في شأن الطوائف والجماعات التي تقيم الشعائر الاسلامية، بل ليس لغير الحاكم الشرعي في الدعوى الشرعية ان يحكم بكفر شخص معين يدعي الاسلام ويقتله بذلك

(١) كجبل سفلن الذي يتقاتل عليه صاحبا اليمن وعسير ووادي طربة التي تنازع فيه صاحبا الحجاز ونجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما ينقل عن بعض الغلاة في بعض البوادي فرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كفرا لدلالته عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق في المسألة لقبله مذعنا ورجع عما كان عليه تائبا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن في البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تلغراف لاسلكي في البلاد ولا سيما عواصمها

(٥) ارسال كل حكومة معتمدا الى عاصمة الاخرى يكون وكيلا لها عندها كما هو المعهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح في بلاد الاخرى

(٦) بعد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلفي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها. وانا متى رأينا من أئمة اليمن والحجاز ونجد شروعا في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا اليه جميعا قبل أن تشتد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه — فإن عقلاء الامة العربية في سائر البلاد وأهل الغيرة من مسلمي الاعاجم يمدونهم بآرائهم السديدة ومساعدتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من ايجاد وسائل الثروة في البلاد

فيا أيها الائمة المتبعون في بلادكم انكم تعلمون انكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما يتعلق بأمر البلاد وأهلها، وانكم لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام شعبكم العربي في غير بلادكم واهتمام جميع عقلاء الشعوب الاسلامية الاخرى بأمركم وما يقولون عنكم كلما بلغهم شيء من انباء اختلافكم وتقاتلكم، وما يتمنون لكم من السعادة وحسن الحال الذي يعدونه من اسباب سعادتهم، وما يكتبون اليوم في تاريخكم، مما ينشر قريبا في عصركم، مصححا لما تنشره الجرائد عنكم، الا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون علم اليقين ان اتفاقكم خير لكل منكم وان بقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب عليكم وعلى شعبكم وأمتكم ودينكم (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) والسلام على من اتبع الهدى، ورجح المصلحة العامة على الهوى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخيال في الشعر العربي

يرتفع شأن الشعر وتقفي لصاحبه بالبراعة والتفوق على غيره بمقدار مايحرز من بناء محكم ومعنى بديع . وقد حدق فلاسفة الادب انظارهم الى الوجوه التي تملك بها المعاني شرف منزلتها وحسن طلعتها ، أو تأخذ منها الالفاظ متانة نسجها وصفاء ديباجتها .

ومن أجل الفنون التي يرجع النظر فيها الى جهة المعنى صناعة التخييل ، وهي الغرض الذي جردت القلم للبحث عنه في هذه الصحائف متحرياً أسلوبا لايشتكي منه القارئ طولا ولا قصرا

ولا ادعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة فلم يعرجوا على مكانه ، أو صعب عليهم مراسه فلم يسوسوه بفكر ثاقب وبيان فاصل ؛ فان كثيرا من علماء البلاغة قد ولوا وجوههم شطره حتى توغلوا في طرائقه ، وكشفوا النقاب عن حقائقه ومن أبعدهم نفوذا في مسالكه الغامضة واسلمهم ذوقا في نقد معانيه وتمييز جيدها من رديئها الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز .

وما كان لي سوى أن أعود الى مباحثه المبثوثة في فنون شتى فاستخلص بقدر ماتسمح به الحال لبابها ، وأولف بين ماتقطع من أسبابها ، ولا تجدني أن شاء الله أحكي مقالهم دون أن أعقد بناصيته أو أبث خلاله أو أضع في ردفه جملا تلبسه ثوبا قشيبا أو تنفخ فيه روحا كانت هادئة

الشعر

يعرف العربي في جاهليته كما عرف بعد أن نزل اليه العلم من كل حدب أن الكلام ينقسم الى شعر ونثر . والميزة المحسوسة لكل أحد أن الشاعر لايحنو عليك الالفاظ جزافا مثلما يفعل الناثر ، وانما يلقيها اليك في أوزان تزيد في رونقها ، وتوفر الذتك عند سماعها ، ومن هذا ذهب بعضهم في حد الشعر الى أنه كلام مقفى موزون . وهذا مثل من يشرح لك الانسان بأنه حيوان بادي البشرة منتصب القامة . فكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بما قصر تعريفه على مايدرك بالحاسة الظاهرة ، ولم يتجاوزه الى المعنى الذي تقوم الحقيقة ويكون مبدأ لكمالها ، وهو التخييل في الشعر والنطق في الانسان

فالروح التي يبدو بها الكلام المنظوم في قبيل الشعر انما هي التشابيه والاستعارات والامثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخييل . وليس يزين سوى خاصة من خواص اللفظ المنظور اليها في مفهوم الشعر بحيث لا يسمى رب شعرا الا عند تحققه ، واطلاق الشعر على الكلام الموزون اذا خلا من معنى يستطرفه النفس لايصح الا كما يصح لك أن تسمي جثة الميت انسانا ، أو تمثال الحيوان المفترس أسدا

والمنثور من الكلام يشارك الشعر في اشتماله على الصور الخيالية ولكن نصيب شعر منها أوفره وهو بها أعرف ، كما يمتاز بأحد أنواع التخييل وهو مالا يتوخى به صاحبه وجه الحقيقة ، وانما يقصد به اختلاب العقول ومخادعة النفوس الى التشبث بغير حق يدعوك كما قال ابن الرومي الى أن تطوي جناحيك على جذوة من الحقد

وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى ... وبعض المزايا ينتسبن الى بعض

فحيث ترى حقدا على ذي إساءة ... فثم ترى شكرا على واسعي القرض

وقال آخر — يزين لك أن تدرج نفسك في كفن الذل وتواريها في حفرة من الخزل

لذ بالخزل وعذ بالذل معتصما ... بالله تنجو كما أهل النهى سلموا

فالربح تحطم ان هبت عواصفها ... دوح الثمار وينجو الشيح والرتم

ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخييل أطلق بعض المشركين من العرب على الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الشاعر ليلقوا في أوهام السذج أن كلامه من نوع مايصدر عن الشعراء من الاقوال الموهمة والتخيلات الباطلة

فهم يعلمون أن القرآن بريء من النزعة التي عهد بها الشاعر وهي عرض الباطل في لباس الحق ، لانه انما ينطق بالحكمة ، ويجادل بالحجة ، ولا يخفى عليهم أنه مخالف للشعر في طريقة نظمه ، فان للشعر عروضا يقف عنده ووزنا ينتهي اليه ، والقرآن يصوغ الموعظة وينفق الحكمة بغير ميزان ، ولكن خفت عليهم مسالك الجدال وانسدت في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجوههم طرق المعارضة ، فلم يبالوا أن يتشبثوا بالدعاوي التي يظهر بطلانها الاول وأي، كما قالوا عنه انه مجنون ، وهم يشهدون في انفسهم انه ابلغهم قولا واقواهم حجة وأنطقهم بالحكمة

وأما الآيات التي وافقت بعض الاوزان فهي على سلامتها من بهرج التخيلات لا تجد الموافق منها الموزون قد استقل بنفسه وأفاد المعنى دون أن تصله بكلمات من الآيات السابقة أو اللاحقة ، والكلام المؤلف من الموزون وغير الموزون لا يصح لاحد أن يسميه شعرا ليقدح به في قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)

التخييل عند علماء البلاغة

ينقسم التصرف في المعاني على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني الى تحقيق وتخييل ، والفارق بينهما أن المعنى التحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتضافر العقلاء من كل أمة على تقريره والعمل بموجبه كقول المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

فمعنى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ، ووضعوه بمقدمة ما يتنافسون فيه من الحكم البالغة، وكذلك اتخذه الامراء الراشدون قاعدة يشدون بها ظهر سياستهم، ويستندون اليها في حماية شعوبهم ، ومن الذي يجهل أن حياة الامم انما تنتظم بالوقوف في وجه من يتهافت به السفه على هدم شرفها والاستئثار بحقوقها ؟

والتخييلي هو الذي يرده العقل ، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع ، اما على البديهة كقول بعضهم

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فكل احد يدرك لاول ما يطرق سمعه هذا البيت أن الكواكب لا تنوي ولا تنطق ولا تخدم ، وأن تلك النجوم المتناسقة في وسط الجوزاء مركبة فيها من قبل أن يصير الممدوح شيئا مذكورا

أو بعد نظر قليل كقول أبي تمام

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نهى الحاطبة في صدر البيت عن انكارها لفاقة الكريم وفراغ يده من المال واعتبر في المجز بأن السيل لا يستقر على الاماكن المرتفعة . وهذا المعنى في نفسه صحيح ولكن الفاء في قوله « فالسيل حرب » أفصحت بأن السبب في عدم توفر طعام الدنيا لذى الكريم هو كون الماء اذا وقع على الاماكن العالية لا يلبث أن ينحدر الى ما انخفض عنها من وهاد وأغوار ، وهذا انما وصل الى الذهن بتخييل أن رفعة القدر بمنزلة المكان العالي وان المال بمنزلة الماء الدافق ينساق الى الرجل فيقضي منه وطره ثم يرسله ان شاء الى بني الحاجات ، فيكون القول بأن مكانة الكريم لارتفاعها جعلت المال يمر على يده ثم ينطلق بالبذل والانفاق يستند الى ان الماء لا يتجمع على ما صعد على وجه الارض من أكمات وهضاب ، وهذا القياس ضرب من التخييل لا يجول في العقل الا ريثما ينظر الى ان السبب في عدم استقرار الماء على الاماكن العالية كونه جرما سيالا لانتماسك اجزائه وتثبت في محل الا اذا أحاط بجوانبه جسم كثيف ، وليس للدراهم والدنانير هذه الطبيعة حتى يلزم أن تمر على يد الكريم ثم تنصب منها الى من كانوا ادنى منه منزلة

ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عندهم لا يدخل في قسم التخييل وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب اسرار البلاغة ناظراً الى ان المستعير لا يقصد الا اثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبو عنه العقل ، وانما يعمد الى اثبات شبه بين امرين في صفة ، والتشابه من المعاني التي لا ينازع العقل في صحتها

التخييل عند الفلاسفة

يقول الفلاسفة ان من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات بالتركيب تارة والتفصيل مرة أخرى ، ويسميها فلاسفة العرب اذا لم تخرج عن دائرة التعقل مفكرة ، ويقال في عملها تفكر ، فان تصرفت بوجه لا يطابق النظر الصحيح سموها مخيلة ، ويقال في عملها تخيل أو تخييل . فمثال ما يأخذ من العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته ... تبكي وقد ولت امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر التفت الى ما في حافظته من الصور المناسبة لهيأة زرع أخضر يتخلله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شقائق النعمان وقد أخذت الرياح تهب عليه من جانب فيميل الى آخر ميلا يتراءى للعين انه حركة ينتقل بها من مكانه ، فوقع خياله على الجيش والملابس الخضراء والجراحات التي تنال الجيش المقاتل فألف بينها ثم جعل صبره ادبارا وانهزاما ليوافق حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزارع الخضراء من شقائق النعمان

ومثال مالا يثق به النظر ولا يدخل في حساب الاقوال القائمة على التحقيق قول الشاعر

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحيانا فيلبسها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

ابصر معاجر من يتحدث عنها وقد اخلقت فحاول ان يلتمس وجها يجعل ذلك الاخلاق من شواهد حسنها، أو يسد فم العاذل حتى لا يغض من شأنها، فتصور طلعة القمر وانساق اليه ما يدور بين الناس من أن الثياب التي يمج عليها القمر أشعته يسرع اليها البلى ثم ادعى مبالغا في التشبيه أن وجهها قمر وبنى على هذا أن تعجب ممن ينكر تأثيره في معجرها بالاخلاق. ففي هذا التصرف ادعاء أن وجهها قمر وهذا مما يألفه العقل لانه بمنزلة التشبيه ولا مفر له من قبوله متى تحقق الوجه الجامع بين طرفيه والمعنى الذي للعقل أن يلتفت عنه انما هو دعوى ان معجرها أخلق بعلة كونه مطلعا لوجهها المسمى بالقمر على وجه المجاز

ماذا نريد من التخييل ؟

يفهم من صريح المقالة الفلسفية أن المفكرة والمخيلة اسمان لقوة واحدة وهي التي تتصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب وانما تغير اسمها بحسب اختلاف الحال فعند ما يكون زمامها بيد العقل يسمونها مفكرة وعندما تنفلت منه يسمونها مخيلة

واذا عرفت أن التمثيل والاستعارة من عمل هذه القوة باتفاق علماء النفس فلو جرى طائفة من الناس على اطلاق التخيل أو الخيال عند ما تتصرف هذه القوة تصرفا تصوغ به معنى مبتدعا سواء أنس به العقل أو نجافى عنه لم يكونوا صنعوا شيئا سوى تغيير الاصطلاح وادخال القسمين تحت اسم واحد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث على المعاني الصادقة والتصورات المعقولة لايحط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة فان علماء البلاغة أنفسهم قد اطلقوه على مايأتي به البليغ في الاستعارة المكنية من الامور الخاصة بالمشبه به ويثبته للمشبه فقالوا الأظفار أو إضافتها في قولك «انشبت المنية اظفارها» تخييل أو استعارة تخييلية واطلقوه في الفصل والوصل حين تكلموا على الجامع بين الجملتين ونسبوه الى عقلي ووهمي وخيالي واطلقوه في فن البديع على تصوير ماسيظهر في العيان بصورة المشاهد ولم يبالوا في جميع ذلك ان يضربوا لها امثلة من الكتاب العزيز وغيره من الاقوال الصادقة فيسوغ لنا حينئذ ان نساير إحياء العصر ونتوسع في معنى الخيال والتخييل ولا نقف عند اصطلاح القدماء من الفلاسفة أو علماء البلاغة حيث خصوا بها مالا يصادق عليه العقل والمخالفة في الاصطلاح مادامت الحقائق قائمة والمقاصد ثابتة بحالها لا يبعد عن تبديل العبارة وتطيير الاسلوب. هـ

يقول الناس عند مايسمعون بيتا أو أبياتا لاحد الشعراء: هذا خيال واسع أو هذا تخيل بديع. فيفهم السامع لهذه الكلمات ومايماثلها ان لصاحب هذا الشعر قدرة على سبك المعاني وصوغها في شكل بديع، ولو قالوا «ما أضيق هذا الخيال أو ما اسخف هذا التخيل» فيجزم السامع ان لصاحب هذا الشعر قدرة على انتاج المعاني في صور منكرة

يصح لنا الآن ياخذ هذا المعنى الذي يحضر في الذهن عند سماع تلك الجمل ونشرح به معنى المتخيلة فنقول هي قوة تتصرف في المعاني انتزع منها صورا بديعة وهذه القوة انما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحس أو الوجدان، وليس في امكانها ان تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للمتخيل معرفتها. ومثال هذا من الصور المحسوسة أن قدماء اليونان رمزوا الى صناعة الشعر بصورة فرس له جناحان وهي صورة انما انتزعها الخيال بعد ان تصور كلا من الفرس والطير بانفراده

وقد يجول في خاطرك عند ماتمر على قول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوال

ان هذا الشاعر قد تخيل لاغوال وانيابها ولم نسبق له معرفة بها اذ لا اثر للغول وانيابها ولا لشيء من موادها في العيان فيلوح لك ان هذا يقدح في قولنا ان المخيلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تؤلف الصور الا من مواد عرفتها بوسيلة الحس أو الوجدان

والذي يكشف الشبهة ان كلا من الغول وانيابها صورة وهمية ولكن لم يجدها الخيال من نفسه بل اخذ من الحيوانات الفظيعة المنظر اعضاء متفرقة وأنيابا حادة وتصرف فيها بالتكبير ثم ركبها في صورة رائعة وهي التي تخطر على الذهن عند ما يذكر اسم الغول . حتى ان الناس لا يتفقون فيما أحسب على تصور هذا الامر الموهوم فكل يخطر له المعنى في أبشع صورة يتمكن خياله من جمعها وتلفيقها

فغاية ما صنع الشاعر أن تخيل امرا محسوسا وهي الانصال المحددة في صورة أمره في نفسه خيالي أيضا ولكن صورته مأخوذة من مواد كان يعرفها من قبل بطريق الرؤية أو السماع

وتعتمد المخيلة على قوة التذكر وهو تداعي المعاني وخطورها على الذهن بسهولة وبعد ان تتراءى لها الصور بوسيلة التذكر تستخلص منها ما يلائم الغرض فتفصل الخاطرات عن أزمنتها أو امكنتها أو ما يتصل بها مما لا يتعلق به القصد من التخييل ، ثم تتصرف في تلك العناصر بمثل التكبير أو التصغير وتأليف بعضها الى بعض حتى تظهر في شكل جديد

تداعي المعاني

ترجع الاسباب التي تجمع بين المعاني وتجعلها بحيث يكون حضور بعضها في النفس يستدعي حضور بعض الى ثلاثة أنواع

(اولها) اقتران المعنيين في الذهن حيث يكون تعلقهما أو احساسهما في وقت واحد أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عند ما يخطر بالبال مكانها كما قال ابن الرومي

وحبب أوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالك

اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

أو زمانها كما قالت الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... واذكره بكل مغيب شمس

وخصت هذين الوقتين بالتذكير لانهما مظهر لعملين عظيمين من أعمال صخر اذ كان يغدو للاغارة التي هي مظهر الشجاعة عند مطلع الشمس ويبعث رسله اكراما للضيوف وقت الغروب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن هذا الوجه نشأت الكنايات وبعض أنواع المجاز المرسل أما الكنايات فلأنها الدلالة على المعنى باسم ما يلازمه في الخارج . وصح هذا نظراً الى ان حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لازمه في ذهن المخاطب كقول الحصين ابن الحمام

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

أراد الشاعر أن يفيد ثباتهم في مواقف الحروب وأنه لا يلتفت بهم الفزع من الموت الى سبة الهزيمة فعبر عن هذا المعنى بأن دماءهم لا تقع على أعقابهم البتة ، وهذا يقتضي انهم لا يولون العدو ظهورهم حتى ينالها بسيوفه كما ان معنى قطر الدماء على الاقدام يذهب بالسامع الى معنى انهم يستقبلون العدو بوجوههم الى ان ينالوا ظفرا أو يلاقوا موتا شريفا

وأما بعض أنواع المجاز المرسل فكاطلاق اسم الحال على المحل والسبب على المسبب والكل على الجزء وعكسها ، ومداره على ان ذهن المخاطب ينتقل الى المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقارنهما في الذهن لان ادراكهما كان في وقت واحد كالحال والمحل والكل والجزء أو على التعاقب كالسبب والمسبب

(النوع الثاني) من الاسباب التي تتلاحق بها المعاني في الذاكرة التباين فان الصور التي يكون بينها تضاد لا يكاد بعضها يتخلف عن بعض ، فمن تصور الشجاعة خطر له معنى الجبن ، ومن مرت على باله الصداقة انساق اليه معنى العداوة ، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه الوصل بين الجملتين ما يقوم بينهما من التضاد في المعنى وساقوا في أمثلته قوله تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) وان شئت مثلا من الشعر فقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وانثني وبياض الصبح يغري بي

ومن هذا الوجه أيضا صح لهم ان يعدوا في علاقات المجاز المرسل الضدية

(النوع الثالث) التشابه وهو ان يكون بين المعنيين تماثل في بعض أمور خاصة كمن يرى الرجل المقدام فيتصور الاسد ويسمع الالفاظ البليغة قد تبرجت في أسلوب محكم فيذكر الدرر المتناسقة في اسلاكها . وعلى هذا النوع يقوم فن التشبيه والاستعارة اللذين هما أوسع مضمار تتسابق فيه قرائح الشعراء والكتاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لماذا تختلف الافكار في تداعي المعاني ؟

تختلف الناس فيما يتداعى اليهم من المعاني الى ان ترى صورا تتوارد على شخص متعاقبة وهي في خيال آخر لاتتقارن البتة ، قال أحد الفلاسفة اني لا أسأل عن السبب في ان معنى من المعاني يدعو آخر ويأخذ بناصيته ولكنني أبحث في شيء آخر وهو ان المعنى الواحد قد يختلف توالبه باختلاف الاشخاص، ثم قال ويمكن الجواب عن هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشعب وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدعو لصاحبه ماهو ألصق بميله وأقرب الى همه

وايضاح هذا الجواب ان توالي المعاني يختلف باختلاف الاشخاص لاحد سببين (الاول) ان الدواعي والعواطف النفسية لها مدخل في تجاذب المعاني واسترسالها على الخيال ، فالطمع أو الحاجة أو الرهبة مثلا تستدعي المعاني العائدة الى المديح أو الاستعطاف ، والغرام يستدعي المعاني الغزلية ، والكآبة والاسف يستدعيان معاني الرثاء أو الشكوى ، والسرور يستدعي المعاني اللائقة بالهناء ، والاعجاب بالنفس أو العشيرة يستدعي معاني الفخر والحماسة . فالزاهد في الدنيا لا يسع خياله من معاني الاطراء والملق ما يسمه خيال الحريص عليها ، والخالي من عاطفة الغرام، لا يخطر على قلبه من معاني التشبيب ما يخطر على قلب الشجي المستهام

(الثاني) مايتفق للانسان في طرز حياته وهو حال المحيط الذي يتقلب فيه فيتوالى على خاطر الناشيء في النعيم والترف ما لا يتوالى على خاطر الناشيء في حال عسرة وبؤس . ويحضر في نفس من شب في الحاضرة مالا يحضر في نفس الناشيء في البادية ، وينساق الى خيال الناشيء في شمال المعمورة مالا يدخل في خيال الناشيء في جنوبها ، فالمقيم في شمال أوربا مثلا يذكر الشتاء فتقارنه صورة الثلج وليس بينهما في ذهن المقيم بالجنوب اقتران واتصال لقلة مشاهدته للثلج أو عدم وقوع نظره عليه طول حياته . ولو نظر الى الهلال رجلان هذا نشأ في الحلية والاخر اتخذ الحصاد حرفة فالشأن أن يتداعى الى الاول صورة السوار وينتقل منه الى المعصم أو الصياغة ويتداعى الى الثاني صورة المنجل وينتقل منها الى الزرع أو الحصادة (يتبع) محمد الخضر التونسي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محاربة البدع

تتمة الرد على المعترض على فتوى شيخ الازهر

قول الفخر الرازي في اسم الله الاعظم

(٤) ذكر المعترض أن الفخر الرازي قال في شرح البسملة من تفسيره مانصه: اختلف العلماء في الاسم الاعظم ويرجح عندي أن (أله) هو الاسم الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب لاشتماله على سر الاشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات .

ونقل الحافظ ابن حجر عنه أنه نقل عن بعض الصوفية أن الضمير (هو) هو الاسم الاعظم ونحن ننقل هنا نص عبارته في تفسير الفاتحة في هذه المسألة ليعلم الناس أن ماعزاه المعترض اليه هو خلاف ماذهب اليه وليعلم المعترض نفسه ان ما اعتمد من كتب أهل الطريق في هذه المسألة لا يوثق بنقلها ولا بعلم أهلها فنقول

ذكر الرازي في المسألة الحادية عشرة من الباب الثالث من أبواب تفسير البسملة ان الاسم الموضوع لذات الخالق واجب الوجود يجب أن يكون أعظم الاسماء وأشرفها قال : وهو المراد من الكلام المشهور الواقع في الالسنة وهو اسم الله الاعظم ولو اتفق لملك مقرب أو نبي مرسل الوقوف على ذلك الاسم حال مايكون قد تجلى له معناه لم يبعد أن يطيعه جميع عوالم الجسمانية والروحانية . ثم قال:

(المسألة الثانية عشرة) القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه وذكر أن (الاول) ذو الجلال والاكرام وضعفه (والثاني) هو الحي القيوم وضعفه (والثالث) قول من يقول اسماء الله كلها عظيمة لايجوز وصف واحد منها بانه أعظم وضعفه (ونقول ان ذكره سهو لان التقسيم والاقوال للثاني لاسم الاعظم والقائلين به) ثم قال

(القول الرابع) ان الاسم الاعظم هو قولنا (الله) وهذا هو الاقرب عندي لان تسليم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة اه بحروفه من الصفحة ٦٢ من الجزء الاول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ومنه يعلم بعض الفرق بين الرازي والحافظ ابن حجر في سمة الاطلاع

ثم إن الرازي جعل الاسماء الالهية بحسب دلالتها على ما وضعت له أقساما فصلها في أبواب وفصول وجعل الفصل التاسع من الباب السابع (في الاسماء الحاصلة لله تعالى من باب الاسماء المضمرة) وهي انا وانت وهو - عند ما تقدم في الكلام دالة على الله تعالى ، وقد أطال في هذا الفصل الكلام في الضمير «هو» بكلام جله من نظريات الصوفية والفلاسفة وذكر له احدى عشرة فائدة واستنبط بعد ذلك ان الذكر به أعظم الاذكار ولكنه لم يقل انه هو الاسم الاعظم ولعله صرح به في كتاب آخر من كتبه . ولكنه لم يذكر أن (أه) من أسماء الله تعالى البتة .

واستنباطه هذا مردود شرعا فانه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الذكر باسماء الله تعالى مفردة غير واقعة في كلام مركب له معنى ، والضمير «هو» ليس من أسماء الله تعالى ولا يدل بنفسه على ذات الله تعالى ولا على صفة من صفاته وانما يدل على ذلك كما يدل على غيره اذا وقع في الكلام ضميرا راجعا اليه . ويحسن أن نذكر نظريته ونبين بطلانها وملخصها أن نداء الله تعالى بكل اسم من اسمائه يدل على وصف يتضمن الدعاء والسؤال المناسب لمعنى ذلك الاسم فمن قال يا رحمن كان معناه ارحم ومن قال ياكريم كان معناه أكرم الخ ثم قال « وقد بينا أن الذكر انما يعظم شرفه اذا كان خاليا عن السؤال والطلب اما اذا قال ياهو كان معناه خاليا عن الاشعار بالسؤال والطلب فوجب ان يكون قولنا «هو» اعظم الاذكار » اه

ونقول ان هذا الكلام باطل مقدماته ونتيجته فليس أشرف الاذكار ما كان خاليا عن دعاء الله تعالى وسؤاله بل الدعاء أعظم العبادة كما صح في الحديث «الدعاء هو العبادة» وقرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة والحاكم من حديث النعمان ابن بشير مرفوعا وصححه الحاكم والترمذي وأبو يعلى في مسنده من حديث البراء ، وهو على حد حديث «الحج عرفة» رواه أحمد وأصحاب السنن وصححوه ومعناهما ان معظم الحج وركنه الاعظم عرفة ومعظم العبادة أو روحها ولبابها الدعاء . ويفسره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حديث أنس « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من طريق عبد الله بن لهيعة قاضي مصر ومحدثها وعالمها وفيه مقال معروف ولذلك جعله الحافظ مؤيدا لا ذكرناه في تفسيره بعد أن عزاه الى الجمهور وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث ابي هريرة رفعه « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »

ولما كان الدعاء ركن العبادة الاعظم ومخها وعظمها وسنامها يطلق ويراد به العبادة مطلقا كما قالوه في تفسير كثير من آيات القرآن حتى صار بعض الناس يظن ان الصيام يسمى دعاء مثلا . وقد قال الله تعالى (٧ : ١٨٠ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) أفرأيت من عمل بهذه الآية فذكر الله داعيا له بأسمائه خير أم من ألحد فيها فصار يقول: هو هو هو . أو ياهو ياهو، وهي عبادة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رويت عن السلف الصالح ؟ وهي مع ذلك فاسدة في لغة الكتاب والسنة فان الضمير وحده لا يسمى كلاما ولا يكون له معنى الا اذا وقع في كلام يكون له فيه مرجع ومثله ما اذا كان جوابا لسؤال يعرف فيه المرجع بالقرينة ، ولا يدخل عليه حرف النداء ولا على ضمير المخاطب الذي يوجه اليه النداء - فلا يقال يا أنت وحرف النداء يتضمن معنى الدعاء أو النداء ويؤول بالفعل ولذلك جعلوا المنادى من المنصوبات وكل من أنت وهو ضمير رفع منفصل

ولو صح نداء الغائب من الخلق وعهد في كلامهم بالضمير المنفصل أو غيره لما كان ذلك بالذي يصح في نداء الخالق الذي لا يغيب عنهم وقد روى الشيخان وأصحاب السنن الاربعة من حديث أبي موسى الاشعري قال : كنا مع النبي (ص) في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي (ص) « أيها الناس انكم لا تدعون أصم ولا غائبا، انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم » والصوفية الصادقون العارفون أجدر من غيرهم بملاحظة هذا الشهود والحضور والرازي رحمه الله لم يكن صوفيا وانما ينقل كلامهم ويتصرف فيه . ولو سلمنا له قوله ان أشرف الذكر ما كان خاليا عن معنى الدعاء لما كان ذلك مستلزما التسليم له بجعل الذكر بصيغة الغيبة — على فرض جوازه وصحته — هو المتعين في تحصيل ذلك الذكر بل نقول حينئذ ان المتعين ذكره تعالى باسمه الذي جزم هو تبعا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجمهور بأنه اسم علم للذات الواجب الوجود وان جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا تجري عليه ورجح هو أنه اسم الله الاعظم كما سبق النقل عنه وهو اسم الجلالة (الله) ونتبع فيه المأثور فنجعله بكلمة التوحيد لا مفردا فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل الذكر لا اله الا الله » رواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث جابر بن عبدالله . ثم نقول ان القرآن قد جعل اسم الرحمن مرادفا لاسم الجلالة في عدة مواضع كقوله تعالى (قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى) وذكر في عدة آيات في سياق الضر والعذاب في الدنيا والآخرة كقوله تعالى حكاية عن الناصح لقومه باتباع المرسلين (ان يردن الرحمن بضر) وقوله في حكاية انذار ابراهيم لابيه (اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) وقوله (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) وهذه أبعدها عن التأويل

فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع ولا سيما في العلوم العقلية ولكنه كثير الخطأ ولا سيما فيما يختص بعلوم السنة وآثار السلف وكلامه في تفسيره المشهور كثير التعارض والتناقض وكثيرا ما نتعقبه في تفسيرنا . وانما ننقل هنا من كلامه ما هو حجة عليه فيما ذكره من تفضيل ذكر الله وندائه بضمير الغيبة وهو قوله في سياق رد قول جهم في مسألة اطلاق مثل كلمة شيء على الله تعالى من تفسير قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) قال :

الحق في هذا الباب التفصيل وهو انا نقول: ما المراد من قولك انه تعالى شيء وذات وحقيقة؟ ان عنيت انه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة . وان عنيت به انه هل يجوز ان ينادى بهذه الالفاظ أم لا فنقول لا يجوز لانا رأينا السلف يقولون يا الله يا رحمن يا رحيم — الى سائر الاسماء الشريفة ، وما رأينا ولا سمعنا ان أحدا يقول : يا ذات يا حقيقة يا مفهوم يا معلوم — فكان الامتناع عن مثل هذه الالفاظ في معرض النداء والدعاء واجبا لله تعالى والله أعلم . اه

(ثم قال) المسألة الرابعة — قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) يدل على انه تعالى حصلت له أسماء حسنة وانه يجب على الانسان أن يدعو الله بها وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية ومما يؤكد هذا انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ولا ان يقال يا عاقل يا طبيب يا فقيه » انتهى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بنفسه. وتقول ومثله ياهو ياهو فانه لم يقله أحد من السلف الصالح ولا هو جائز في لغة الدين. وأولى منه بالانكار - أه - فانه ليس من هذه اللغة وانما هو من اللغة السريانية كما قيل.

نقول المعترض عن سائر العلماء

(٥) قد تبين مما تقدم أن نقل المعترض على فتوى شيخ الازهر عن صحيح مسلم ومستدرك الحاكم وعن الفخر الرازي كذب. وفي ما نقله عن حاشية الحفني على الجامع الصغير وشرح العزيزي له وعن حاشية الشيخ الامير على متن غرامي صحيح وحاشية الباجوري للجوهرة فنقول فيه - أولا - ان ما نقله عن الاولين هو في شرح حديث الاذن في المرض وقد علمت انه لا يصح وفي شرح حديث «اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى» هكذا ذكر المعترض ولم يذكر تتمة الحديث وهي «دعوة يونس بن متى» وهذه التتمة تنفي ما يزعمه المعترض. وهذا الحديث عزاه السيوطي في الجامع الصغير الى ابن جرير عن سعد وبجانبه علامة الضعف. وأورد قبله حديث «اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن — في البقرة وآل عمران وطه» وعزاه الى ابن ماجه والطبراني والحاكم عن أبي امامة وعلم عليه السيوطي في جامعه بالصحة وذكر غيره ان في سنده هشام ابن عمار وهو مختلف فيه على انه نص في خلاف ما يريد المعترض اثباته

أما ما ذكره العزيزي في شرحه للجامع الصغير فقد نقل عن الملقني عشرين قولا في الاسم الاعظم أولها انكاره وثانيها انهم استأثر الله بعلمه والعشرون الم ويعلم باقيها مما أوردناه عن الحافظ وليس فيها أن (اه) منها. وتبعه الحفني في ذلك

وأما كلامهم في حديث الاذن فقد قال المناوي في شرحه له عند قوله «فان الاذن من اسماء الله تعالى» ما نصه: أي لفظ آذن من أسماء الله تعالى لكن هذا تداوله الصوفية ولم يذكره له أحد من أئمة اللغة فهو من حيث اللغة ظاهر

وأما الحفني فانه نقل حديث الاذن هذا من حاشيته على الجامع الصغير (ص ٢٧ من الطبعة الاميرية) فقال عند قوله «دعوة يونس» أي يأتي بقوله آه. وقال عند قوله «من اسماء الله» أي من أثر بعض أسماء الله كالغفار والقهار فاذا تجلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى على عبده بهذا الاسم حصل له الفخر ، والا فما لم يرد به من اسمائه تعالى. ه

وأما الشيخ الامير فاستغنى بما ذكره في حاشيته على عبد السلام شارح الجوهرة فقد قال عند قوله « الانين » ينبغي أن يقال آه لانه ورد اسمالله دون آخ لما قيل من انه من اسماء الشيطان. ونقل الباجوري قوله هذا ولكنه لم يذكر صيغة التمريض في كون آخ من اسماء الشيطان. وقول المناوي هو الصحيح لانه أعلمهم بالحديث والآثار وبالتصوف على انهم كلهم ذكروا كلمة «آه» بالمد ولم يذكر أحد منهم قولا ما في لفظة « اه » التي يدعيها المعترض فسقط كل ما قاله ولم يفده قول أحد منهم بل كلهم حجة عليه لا له . فياليت شعري هل يرجع ذلك الشاذلي المعترض وأمثاله الى الحق بعد ما تبين له أن كل ما استند اليه أهل طريقته في ذلك باطل عملا بعنوان اعتراضه (الرجوع الى الحق فضيلة) الا اذا وافق الهوى التقليدي وان كان كذبا على الله ورسوله ومخالفا لما كان عليه السلف الصالح وخلفهم الخلف في ذلك ؟.

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

٤

طرابلس والقلمون

ما حزنني من سوء حال بلاد سورية الاجتماعية والادبية شيء كما حزنني حال طرابلس والقلمون حيث نشأت وترعرعت فقد كانت طرابلس خير المدن السورية في العلوم الشرعية والادبية ، والعيشة الراضية الهنية، كما كانت القلمون خير البلاد الصغيرة في ذلك، أو « سيدة القرى والمزارع » كما وصفت في السجل الاعظم (در كنار) بلاد الدولة العثمانية في الباب العالي كما روي لنا وذلك ان جميع أهلها كانوا سادة شرفاء ، واتقياء نجباء، قد ولدت ولله الحمد فيها، ونشأت في بيت الكرم والمجد لا ثبل منها، فكنت من أول العهد بالتمييز أرى العلماء والادباء والحكام والوجهاء تغشى دارنا، وتعشو الى ضوء نارنا ، بل كنت أرى فيها الصيوف من بلاد المسلمين على اختلاف مللهم ومذاهبهم ، وكان مسجدها عامرا دائما بإقامة شعائر العبادة وقراءة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دروس العلم والوعظ ، وقد عشت ما عشت فيها ولم أر أحدا ارتكب فاحشة أو شرب مسكرا أو أتى منكرا الا ما كان ينسب الى أفراد قلائل من ارتكاب سرقة الفاكهة أو الزيتون واللايمون وما كان يقع بين بعض المتخاصمين والمتنازعين من التضارب بالعصي أحيانا وبالمدى نادرا ، وقلما رأيت شيئا من ذلك بعيني . وأني قد شبت فيها وأنا أعتقد أن الذين يقترفون كبائر الاثم والفواحش في الدنيا أفذاذ قليل عددهم في كل مكان وأكثرهم في المدن أو الوادي ، ولذلك كنت أجتنب معاشرة أكثر الناس في طرابلس عند ما كنت أطلب العلم فيها على ما ذكرت من فضلها على غيرها ، حتى اني الى اليوم لا أعرف جميع أسماء الذين جمعني معهم المجلس الطوال في المدرسة . وكانت مدارس العلم يومئذ عامرة وطلابه كثيرو العدد ، كانت دور أهل العلم والادب أندية وسمارا تكثر فيها المطارحات العلمية والمساجلات الادبية ولم تكن الخمر معروفة في شيء من ملاهيها العامة (القهاوي) ولا الرقص ، وكل ما كنت أعلمه في هذا أن في حارة النصارى ملهى في بستان اسمه الزهرية يشربون فيه الخمر ويختلف اليه بعض أهل الدعارة من المسلمين ، ولكنني لم أر في أثناء اقامتي فيها الطلاب العلم من السكارى الا عبدا أسود وشابا رطنيا من فقراء الروم يبيع الحمص المملح والمكسر بالسكر وانما نسمع أحيانا بعض أخبار الفساد من المنكرين عليهم والقادحين فيهم اذ يغلب عليهم التستر ويندر فيهم التهتك ، كاجتماع بعض أهل الدعارة في مجالسهم الخاصة في بيوتهم على مائدة الخمر أو شربها على مائدة الطعام ، وانما كان يفعل هذا من المسلمين أكثر الموظفين من الترك حتى بعض قضاة الشرع . وكان هؤلاء الموظفون يحرصون على اغواء وجهاء المسلمين الذين يهم شؤونهم باغرائهم بالشرب معهم كدأب أهل السكر في كل مكان ، وقل من كان يصاحبهم فيهم من قرنائهم أو مرؤوسيهم ولو بقبول الكأس من أيديهم مرة واحدة ، ومن عارف ذلك ، [illegible] من هذا القبيل فقد سألنا البين [illegible] غير السكر فأي حرج اذا في شرب [illegible] لا يسكر الا كثيره كثيرة فقلت له تلك شبهة [illegible] جميع الذين قالوا بحله يسمونه سيدا والحق أن كل مسكر خمر يحرم قليله وكثيره كما ثبت في [illegible] والطهر والطيب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واذ كنت أكتب مثل هذا الاعتبار به وليكون تاريخا تعرف بمثله أسباب التطور الاجتماعي في البلاد فانني اذكر واقعة في هذا الباب هي أكبر ما كان يتحدث به الناس في مدينتنا (طرابلس الشام) ويفخرون به. وهي بين مدحت باشا الوزير الشهير ودرويش افندي الشنبور

كان درويش افندي هذا رجل طرابلس الكبير بل رجل سورية الممتاز في عصره بالعلم بالقوانين وحسن الادارة والتصرف في حل المشكلات، حتى ان أمور ادارة لواء طرابلس كانت بيده يتصرف فيها كما يشاء، وهو عضو في مجلس الادارة رأيه فيه بحكم القانون كرأي غيره من الاعضاء، فكان أصحاب الحاجات يولون وجوههم شطر داره دون أمثاله من الاعضاء بل دون الرؤساء من المتصرف التركي المولى من نظارة الداخلية الى من دونه من رؤساء الادارة وكذا رؤساء الجند فيما يقيدون فيه بالادارة كأخذ العسكر بنظام القرعة المعروف فلم يكونوا يستطيعون أخذ أحد الا برأيه — لذلك كان له حساد كثيرون فلما جاء مدحت باشا والي سورية كثر السعاة بدرويش افندي الشنبور لديه الذين يزعمونه بالاستبداد بأعمال الحكومة وكونه لم يترك لاحد من رجال الدولة اسما ولا عملا في لواء طرابلس وانه هو نفسه لا يمكنه أن يكون له اسم سمي ولا قدر علي في ذلك اللواء الا باخراجه من مجلس الادارة وجعله جليس بيته، وقد أثرت هذه السعاية في نفسه، فلما جاء طرابلس في دورة التفتيش المعتادة كان استقباله لدرويش افندي استقبال المرتاب المختبر فلما سمع كلامه أحب الخلوة به فسمع منه من الانباء والآراء ما أكبره في عينه، وأجله في أعلى مكان من الثقة به، والكلام مظهر العلم والعقل والرأي (فلما كلمه قال أنك اليوم لدينا مكين أمين) ولم يكن يستطيع مفارقته الا وقت النوم، وكان الوزير مبتلى بشرب الخمر كما كثر رجال الدولة وكان درويش افندي لا يشرب بها كسائر وجهاء طرابلس ولا سيما أصحاب الزي العلمي أمثاله فاجتهد مدحت باشا في حمله على الشرب لتطيب له معاشرته ولا يرى نفسه صغيرا أو حقيرا في عينه وعين نفسه بارتكابه لهذا المنكر مع من ينكره في نفسه لتحريمه وقد كان مدحت باشا مسلما محترما لدينه كما يقال ولكن السكر بلاء فلما يستطيع تركه من ابتلي به — عرض لدرويش افندي أولا فتباله وأعرض كأنه لم يفهم مراده،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكاد له مكيدة سلم منها بحسن بادرته ، وقوة ارادته : ذلك أنهما كانا في متنزه من متنزهات ضواحي المدينة اسمه (بركة البداوي) فطلب الوزير الخمرة فأخذ لنفسه كأسا وناول درويش افندي كأسا أخرى وقال له نشرب على اسم مولانا السلطان الاعظم فأخذ الكأس درويش افندي وقال على البداهة : كأس من يد افندينا مدحت باشا باسم مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين لاينبغي أن تصب في الجوف وتخالط القذر بل مكانها الرأس ، وصب الكأس على عمامته البيضاء . فاعجب مدحت باشا بهذه البداهة والكياسة . وزاده هذا الثبات كرامة عنده ومكانة في نفسه

هذه الحالة التي كانت عليها طرابلس الى عهد طابي للعلم فيها وهجرتي منها هي التي خاصفت آلامي لما رأيت هذه المرة مارأيت من سوء حالها ، وسريان عدوى المجاهرة بالتهتك فيها ، وقد بدأ ذلك فيها في أوائل العهد بالحكومة الدستورية الاتحادية ثم كان لمفاسد الحرب ثم للاحتلال الاجنبي تأثير بعد تأثير في استشراء فساده كما بيناه في النبذة الثالثة من هذه الرحلة (ج ٩ م ٢١) حتى ان طرابلس صارت دون بيروت ودمشق في الحالة العلمية والادبية الاسلامية فقد خلت من تلك الحلقات الواسعة من طلاب العلم ومن تلك المحافل والسمار التي كانت آهلة بأهل الهيئة والوقار من العلماء والوجهاء من الطبقات المختلفة الذين كانت آراؤهم تضطر الغرباء من حكامهم وغيرهم الى احترامهم دع أهل البلد الذين هم كبراؤه . وكذلك كان شأن شيوخ أهل بيتنا في القلمون بل لم أر مجلس وقار في مكان ما مثل المجالس التي كان يحضرها كبير أسرتنا السيد الشيخ أحمد عمي والدي فقد كان أوجه الوجهاء من علماء طرابلس ورجال الحكومة وغيرهم يجلونه لما كان عليه من الجد والوقار والتقوى حتى إنه لم يكن أحد يشذ في جلوسه ولا في ضحكه ومزاحه في حضرته بل يلزمون الاعتدال والادب الشرعي وقد اتهم رجل صالح من طرابلس بفاحشة أو مقدماتها وكان ممن يترددون على القلمون مع بعض العلماء فلم يتجرأ بعدها أن يتراءى امامه طول حياته ، وماذا أقول عن صاحب تلك الشيبة الرائعة الذي قال فيه نقادة المعاصرين الشيخ عبد الفتاح الزعبي نقيب أشراف طرابلس وخطيب جامعها الكبير الى اليوم: آخر من أدركنا من الصديقين عمي الشيخ أحمد . وأنا لم أكن هنالك استطيع تمدد النظر في وجه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحد منهم بالفسق ولا السكوت على منكر منذ كنت غلاما أمرد وقد شذ في حديثه معي تاجر في طرابلس بقول لا يعد منكرا شرعا اذا حسنت فيه النية تركت الشراء منه والنظر الى دكانه بل المرور امامها مادام فيها

نعم انني كنت أول من انتقد من المسلمين ما كان عند الوجهاء من التكلف في اللقاء والسلام والقعود والقيام وأول من ترك عادة الجلوس على الركب في بدء المجلوس معهم وان فعل ذلك بعض كبار السن والقدر لاجلي ولكنني أقول الآن ان مجالسهم كانت خيرا من مجالس اكثر أولادهم وأحفادهم الذين تركوا غير ذلك من آدابهم العالية ، لا المتكلف منها فقط مفتونين بزخرف حرية الفسق الذي يخشى أن يضيع عليهم دنياهم ودينهم فيكونوا من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

اصيبت طرابلس بالعقم من العلماء والفضلاء والزعماء فلا خلف فيها في العلم والرشد للشيخ محمود نشابه والشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ عبد الرزاق الرافعي والشيخ عبدالله الصفدي ودرويش افندي الشنبور والمفتي مصطفى أفندي كرامي الذين أدركناهم في شيخوختهم ، ولا للشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة والشيخ نجيب الحامدي والشيخ محمد كامل الرافعي ومحمود افندي المغربي والمفتي رشيد افندي كرامي والشيخ خليل صادق الذين أدركناهم في كهولتهم

وانما بقي أفراد من الطبقة التي قبل طبقتنا أوسعهم علما وفهما وافادة الشيخ محمد ابراهيم الحسيني وقد جهلت مدينته قيمته فلا ينتفع به الا أفراد قليلون من بقايا الطلاب ، ومنهم الشيخ محيي الدين الحفار والشيخ عبد اللطيف نشابه ، وأفراد آخرون من طبقتنا ورفاقنا في الطلب وأكثر هؤلاء وأولئك قد تركوا الدرس والتدريس واجتنبوا الكتابة والتصنيف ، ومنهم من يشتغل بأمر الدنيا من تجارة وزراعة لكساد بضاعة العلم ، ولم أر في هذه الزورة لطرابلس أحدا من رفاقي لا يزال مغرما بالمطالعة والكتابة الا الشيخ محمد رحيم والشيخ عبد المجيد افندي المغربي ، وليس لاحد منهما ولي في عمله ولا ظهير

وأما القلمون فلم يبق فيها أولو بقية يستفيد الناس منهم الا عمي أبو عبد الرحمن عاصم فهو يقرأ دروسا في مسجدنا في بعض الاحيان لمن حضره يوجد فيه ولكنه في عامة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أوقاته ، منزل للناس لا يكاد أحد يراه الا في صلاة الجماعة وقد انقرض ثلثا أهل القرية وحال الباقين شر مما كانت عليه ، وقد كنت قبل الهجرة الى مصر أقرأ لهم التفسير ونهاية المحتاج في فقه الشافعية والزواجر وغير ذلك من كتب التوحيد المواعظ والرقائق ، وبلغني أنه وجد فيهم رجل يتجرأ على المجاهرة بالفواحش وارتكاب منكرات السلب والنهب يستعين على ذلك برشوة الحكام ، وأما طرابلس فقد صار الكثيرون فيها يجاهرون بذلك ومنهم من يدعو الاجانب الى داره ويقدم لهم الخمور فيها ولكن تيقظ بعضهم لتدارك الخطر كما بيناه في البندة الثالثة التي قبل هذا من الرحلة ، فليحفظ الناس هذا ولينتظروا عاقبة هذا التغيير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونسأل الله تعالى أن يتوب عليهم ويجعلهم خيرا مما كان عليه سلفهم ويغير ما بهم الى خير منه

تصحيح غلط في الجزء الاول

نبهنا في ص١٠٣ الى حذف جملة من آية وقع في فاتحة المنار وقلنا ان الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات تامة وان منه آيات في تلك الفاتحة من مواضع مختلفة لم يفصل بينها ، وعطف على محذوف يعرف بالقرينة. ونزيد هنا أن منه حذف في السطر ١٦ من ص ٨ بعد قوله تعالى (ولا ذمة) وهو تتمة الآية الثامنة من سورة التوبة الى قوله (ولا ذمة) قبل فاصلة الآية العاشرة : وكنا وضعنا في هذا الموضع نقطا لتدل على الحذف فتركت في الطبع سهوا . وقد اضطررنا الى تنقيح تلك الفاتحة والحذف منها اضطرارا ترتب عليه ما ذكر

ووقع في السطر ١٦ ص ١٠ - يونس ١٠ : ٢٨ - وصوابه (الانعام ٦ : ٢٢) وسببه في الاصل أن آية يونس سقطت من الطبع وبقي عددها وحذف عدد آية سورة الانعام فصارت آيتها بعدد سورة يونس ويكتفى الآن بتغيير الرقم. وفي س ١١ ص ١٣ (ويوم - وصوابه ثم يوم) وفي س ٢٦ ص ١٣ أيضا تقديم عليم على حكيم في الجملة القرآنية وتفسيرها والصواب عكسه (حكيم عليم) وهذا سهو منا نسأل الله أن لا يؤاخذنا به